الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم التاريخ

عنوان المذكرة

التحركات العثمانية والتحرشات الأوروبية على جزر المتوسط في القرن 16 م

"جزيرة جربة التونسية أنموذجا"

مذكرة قدمت لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

من إعداد الطالبة:

- **شلالي عائشة**

إشراف:

- **د:جلاوي سعيد**

السنة الجامعية: 2022/2021

إهداء

أولا لك الحمد ربي على كثر فضلك وجميل عطاك وجودك ومهم حمدنا فلن نستوفي حمدك والصلاة والسلام على من لا نبي بعده إلى ذلك الحرف اللآمتنا هي من الحب و الرقة و الحنان، إلى التي بحنانها ارتويت و بدفئها احتميت ،و بنورها إهتديت و ببصرها اقتديت ولحقها ما وفيت ، إلى ما يشتاق اللسان نطقها ، وترفرف العين من وحشتها و التى كانت تتمنى رؤيتي و أنا أحقق هذا النجاح ، وشاء الله أنا يأتي هذا اليوم أهدي هذا العمل إلى أمي "خديجة عنان " إلى درعي الذي به إحتميت ، وفي الحياة به إقتديت ، والذي شق لي بحر العلم و التعلم إلى من إخترقت شموعه ليضيء لنا درب النجاح ركيزة عمري ، و صدر أماني و كبريائي و كرامتي أبي "جمال شلالي "أطال الله في عمره إلى من يذكرهم القلب قبل أن يكتب القلم ، إلى من قاسموني حلو الحياة و مرها ، تحت السقف الواحد أخواتي" وفاء و ميمي و مريم " إلى أمي الثانية التى تحينيي بسمتها و تميتني دمعتها إلى مسك الحياة "خالتي مليكة" أطال الله عمرها إلى أحسن ما عرفني بهم القدر الأصدقاء القدامى "سيلينا و يسرا و فلة " وأخيرا أهدي هذا العمل المتواضع إلى الذي أختم به إهدائي ، الذي أرى فيه دائما الصبر و التفائل خطيبي و قرة عيني "عبد العالي" و إلى كل عائلته التى أعتبرها عائلتي الثانية "مزهود "حفظكم الله لي

كلمة شكر وعرفان:

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه"

-الأحقاف: الآية 15-

اللهم لك الحمد ولك الشكر كله وإليك الأمر كله على توفيقنا في إتمام هذا العمل المتواضع راجيه منك التوفيق والسداد

وأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن حق أهل الفضل أن يعترف لهم بالفضل وعليه لتقدم بالشكر والعرفان وأسمى معاني الاحترام والتقدير إلى من تفضل بالإشراف علينا وعلى هذا العمل الدكتور جلاوي سعيد الذي كان لنا ذخرا ولم يبخل علينا في كل ثغرة

كما نتوجه بالشكر لكل من قدموا لنا تسهيلات ومساعدات وكل من ساعدني من قريب أو بعيد وجزاهم الله خير ولا ننسى بالذكر أهلنا من الأسرة العلمية أساتذة وطلب كل باسمه وكل بمقامه ونسأل الله أن يوفقنا و يوفق الجميع.

الطالبة : شلالي عائشة

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
ج	جزء
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعريب
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
مج	المجموعة
P	صفحة
IBID	مرجع نفسه
Cit	نفسه
د.ت	دون تاريخ
د.د.ن	دون دار النشر

مقدمة

مقدمة:

عرف حوض البحر المتوسط خلال القرن 16 ظهور قوتين متضادتين، هما: الدولة العثمانية، كقوة بحرية، في الضفة الجنوبية من المتوسط ، والدول الأوروبية المتكتلة ذات النزعة التوسعية في الضفة المذكورة ، مما أدى بطبيعة الحال إلى تصادم المصالح بين هاتين القوتين، مما أدّى إلى ظهور صراع ثنائي عثماني أوروبي ، وأصبح البحر المتوسط مسرحا لصراع حاد، خاصة بعد المعاناة التي عرفها الحوض الغربي للبحر المتوسط بقيادة ملكي اسبانيا وطرد المسلمين الأندلسيين من موطنهم وتعرضهم إلى أسوء أشكال الظلم والاضطهاد على يد المسيحيين، ونتج عنه هجرة الأندلسيين ولجوئهم إلى السواحل الشمالية لإفريقيا واستقرارهم هناك ووقوف بلدان شمال إفريقيا إلى جانبهم والوقوف واحتضانهم مما شجع على بروز فكرة الحرب الدينية، ونتج عن ذلك صراع اصطحب معه حشد من الحملات الأوروبية للمنطقة التي تحولت إلى مجال للتنافس و الصراع، لم تنجو منه الجزر التابعة لحوض المتوسط منها جزيرة جربة التي خصصتها كنموذج في هذه الدراسة، وذلك لما تعرضت لهم من انتهاكات و تحرشات و تحولت إلى نقطة ساخنة بين هاتين القوتين في فترة حساسة من تاريخ العالم الإسلامي الحديث الذي يحدد معالم القوة والضعف والتموقع بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية بتوظيف كل طرف ما يملك من نفوذ وقوة عسكرية و اقتصادية، خاصة البحرية كون أن الموضوع يصب في إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط الواقعة في الضفة الجنوبية الشرقية من حوض المتوسط التي يمكن أن تصبح مفتاحا للدول الأوربية لاختراق العالم الإسلامي عن طريق تكثيف الحملات العسكرية البحرية في القرن 16م كونها تحتل موقعا استراتيجيا هاما.

كما أقر بوجود بعض المحفزات الشخصية التي جعلتني اختار هذا الموضوع كاعتنائي بالدراسات الحديثة الخاصة بالدول المغاربية مثل: تونس، والدور التاريخي للدولة العثمانية في الدفاع عناها.

فالبحث في هذا الموضوع، سيعمق من معارفنا العلمية، ويضاعف من مخزوننا المعرفي في مجال التاريخ.

إن معالجة مثل هذه المواضيع يقف على عدة خيارات ورهانات كونه يمثل جانبا من الصراع الحضاري بين قوة إسلامية تمارس الجهاد تقابلها قوة تتهمها بالقرصنة بهدف إعطاء الشرعية

لمشروعها الاستعماري، وهنا تكمن المفارقة التي تستوقفنا عند إشكالية مفادها: **إلى أي مدى كانت الدولة العثمانية بمثابة الدرع الواقي لسواحل شمال إفريقيا وجزرها؟ وبالأخص جزيرة جربة التونسية في ظل الصراع القائم وما هي خياراته ورهاناته؟**

لا محالة بطبيعة الحال من تفكيك هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية و هي كالتالي:

- فيما تتمثل أهمية البحر الأبيض المتوسط للضفتين؟ وما هي أهم جزره ؟
- ما هي رهانات الدول الأوربية في صراعها في حوض المتوسط خاصة على جزيرة جربة؟
- ما هي أهم الحملات التي شنتها الدول الأوروبية على جزيرة جربة؟
- كيف كانت خيارات الدولة العثمانية في مواجهة الأوربيين وحماية جزيرة جربة التونسية؟
- كيف كانت تداعيات الصراع على جربة التونسية وامتداداتها؟

بطبيعة الحال للرد على هذه الأسئلة تتطلب جهدا كبيرا في توفير مجموعة من المصادر والمراجع ولا يسعنا المجال لذكرها، وسأقتصر على ذكر الأهم منها كونها مصادر هامة اعتمدها بشكل كبير.

ومنها:

مذكرة خير الدين بربروس التي تعد مصدرا مهما جدا كونه عاش تلك الأحداث، ولقد ساعدني كتاب خير الدين كثيرا كونها شهادة خطية بالغة الأهمية ساعدتني في إبراز دور الإخوة بربوس في تلبية استنجاد السكان بهم وتخليصهم من الاحتلال الاسباني.

وكذلك مذكرات أحمد الشريف الزهار: التي حققها أحمد توفيق المدني فهو من المصادر الجزائرية التي عالجت الاحتلال والأحداث التي تعرضت لها المدينة الجزائرية بالإضافة إلى التطرق إلى الدول المجاورة، وساعدني في إبراز دور الأسطول الجزائري في انضمامه لمعركة ليبانت والمساهمة في تحرير تونس.

و كتاب ابن الدينار المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، والذي أفادني في عنصر الأوضاع الحفصية وعن تونس وأحوالها السياسية في القرن 16م .

وأخيرا كتاب الحسن الوزان وصف إفريقيا باعتباره يشكل لنا تاريخه خاصة فيما يتعلق بالمدن الإفريقية ومعالمها، ولقد أفادني ووظفته في الحديث عن جربة التونسية ومميزاتها الطبيعية والتضاريسية.

كما تمكنت من توظيف الكثير من المراجع المختلفة التي تعالج بعض جزئيات الموضوع من كتب ودراسات ودوريات كل واحدة في مجال الاستفادة منها.

نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

كتاب حرب ثلاثمائة سنة للكاتب أحمد توفيق المدني الذي ساعدني في وصف الحملة الاسبانية وسيرها على المرسى الكبير.

وكتاب يوسف بن امحمد الباروني الذي ساعدني كثيرا في معرفة عدة معلومات عن جربة تحت عنوان جزيرة جربة في موكب التاريخ ، وكتاب تاريخ جزيرة جربة للشيخ سالم بن يعقوب الذي ساعدني في معرفة نمط الحياة العسكرية والتحصينات الدفاعية بجربة.

كذلك كتاب يحيى بوعزيز بعنوان مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية التي كان لي بمثابة دليل في مشوار مذكرتي هذه، بحيث بفضله استطعت مواكبة الأحداث والحملات الأوروبية على الجزيرة الجربية ، كتاب محمد الهادي الشريف بعنوان تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال الذي استعنت به لمعرفة أحوال تونس خلال القرن 16م البحرية بالخصوص.

و لم يكن البحث عن هذه المصادر والمراجع أمرا سهلا بل واجهت العديد من الصعوبات منها ما تعلق بطبيعة الموضوع كونه تونسي يقتضي التنقل خارج الوطن فاكتفينا بما هو متاح في المكتبات خاصة في العالم الإلكتروني والافتراضي ، إضافة إلى ضيق الوقت المتاح لنا لإنجاز هذا العمل الذي لا يتجاوز سداسي كامل ، ناهيك عن الارتباطات العائلية والمناخ الاجتماعي العام غير المساعد على البحث.

لكن بالرغم من ذلك اجتهدت من أجل تجاوز هذه الصعوبات عن طريق تحديد المنهج المناسب مع إمكانياتي وطبيعة الموضوع فاقتصرت على المنهج التاريخي القائم على الاستقراء و الوصف والسردي والتحليلي بما يمكنني من استغلال كل المراجع المتاحة، كما قمت بصياغة خطة بحث بما يتواقف مع الكم المعرفي الذي تحصلت عليه وهي كالتالي:

مقدّمة التي تناولت فيها عرضا للموضوع، واستعرضت من خلالها الخطوات المنهجية لهات الدراسة.

الفصل الأول والمعنون ببداية الصراع ورهاناته في حوض المتوسط في القرن 16 م بين الضفتين، والذي قسمته إلى أربعة عناصر، العنصر الأول خصصته لموقع البحر المتوسط و مكوناته الجغرافية، والثاني لأهمية حوض المتوسط الاستراتيجية بالنسبة للضفتين، والعنصر الثالث احتوى

على التحرشات الأوروبية على المتوسط وجزره وسواحله في القرن 16م، والعنصر الأخير تحدثت فيه عن أهم التحركات العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

أما الفصل الثاني بعنوان جزيرة جربة: الخلفية التاريخية والجغرافية العسكرية، مستفتحا ذلك بلمحة عن المنطقة في أواخر العهد الحفصي، ثم تطرقت إلى موقع جزيرة جربة وأهميتها الاستراتيجية، وأهم الحملات الأوروبية الأولى على جربة خلال الفترة 1510م و 1551م .

بينما الفصل الثالث: الموسوع بجزيرة جربة بين مواجهة الأوروبيين إلى الاستعانة بالعثمانيين، بحيث ذكرت فيه دوافع التدخل العثماني في جربة وأهم الاستعدادات العثمانية لحماية جربة وتحريرها، وفي الأخير كيفية انضمام تونس للدولة العثمانية وفتحها لها.

تبعا لما يقتضيه العمل المنهجي ذيلت البحث بخاتمة وهي بمثابة حوصلة تركيبية لنتائج الموضوع ومجموعة من الملاحق المتنوعة والمكملة والمستغلة في متن البحث، وفهارس كجرد لما هو مطلوب.

ويبقى للجنة واسع النظر في تقييم هذه المذكرة

الفصل الأول: بداية الصراع بين الدولة العثمانية و الدول الأوروبية ورهاناته في حوض المتوسط في القرن 16

الفصل الأول:

بداية الصراع بين الدولة العثمانية و الدول الأوروبية و رهاناته في حوض المتوسط في القرن م16

1. موقع البحر المتوسط و مكوناته الجغرافية
2. أهمية حوض المتوسط الإستراتيجية للضفتين
3. التحرشات الأوروبية على المتوسط و جزره وسواحله الجنوبية في القرن 16 م
4. التحركات العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد كان البحر الأبيض المتوسط يشهد في القرن 16 م غليلا داخليا وخارجيا، خاصة على سواحل المغرب العربي، والجهة الغربية للبحر المتوسط، ومما زاد الطين بلة التدخل الاسباني الذي همّ باحتلال معظم المدن الساحلية بسبب العداء بين الإسلام والمسيحية ومطاردة مسلمي الأندلس، وهذا ما سنعرضه في فصلنا هذا مبرزين الأهمية الاستراتيجية للبحر المتوسط ابنسبة للضفتين، والذي بدوره كان يشهد الصراع الاسباني وظهور الإخوة العثمانيين في مواجهة هذا الخطر الذي يهدد المغرب العربي وكيانه.

1. موقع البحر المتوسط ومكوناته الجغرافية:

1.1. موقع البحر المتوسط:

كلمة البحر المتوسط مشتقة من الكلمة اللاتينية المكونة من قطعتين :

Mèdius والتي تعني المتوسط

terra والتي تعني الأرض

فهو امتداد مائي واسع يتوسط قارات العالم القديم الثلاثة فإلى الشمال تحده أوروبا وإلى الجنوب تحده إفريقيا وإلى الشرق تحده أسيا، وبسبب توسطه بين قارات ثلاثة أصبح منطقة تفاعل حضاري وصراع سياسي وعسكري عبر تاريخه، وخلال تاريخه الطويل شهد البحر المتوسط ظهور الكثير من الحضارات على امتداده ينتشر العديد من الجزر التي كان لها دور في أحداثه التاريخية.

من الناحية الجغرافية الملاحية كان للبحر المتوسط(**انظر ملحق رقم 1**)كما هو حاله الآن ثلاث نقاط للدخول أول اثنتين منهما:[1]

مضيق جبل طارق ومضيق الدردنيل يمكن التحكم بهما في الأقل نظريا، باستخدام القوة البحرية أما الثالثة التي تسمى الآن قناة السويس، وتربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فلقد كانت الأحوال الملاحية لها دور كبير في النشاط البحري في البحر المتوسط دون ملامسة الأرض، وكانت رحلات السفن تتم عبر الأجزاء الرئيسية للبحر المتوسط.[2]

---

[1] عماد علو، **الاستراتيجية البحرية الإسلامية في البحر المتوسط**، د.ط، دار المكتب العربي للمعارف، بيروت، 2019، ص 85.

[2] يسري الجوهري، **جغرافية البحر المتوسط**، د.ط، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، 1984، ص 26.

وكانت هناك جزر سنتحدث عنها لاحقا صار عليهم صراع حاد وتم الاستيلاء عليهم عبر مراحل من طرف الدولة العثمانية.

وخلال القرن 16م بدأت اسبانيا تفكر بغزو شمالي إفريقيا عن طريق توحيد الشواطئ والجزر في هذه المنطقة ووضع السلع التجارية في صقلية وجربة تحت السيطرة وتأمينها من هجمات القباطنة العثمانيين، لاسيما بعد تعاظم نفوذهم خلال هذه المرحلة أما الجزء الواقع في أقاصي غرب البحر المتوسط يعد مستقلا، وهذا الجزء يسمى قناة البحر المتوسط هو ممر ضيق بين الكتل البرية.[1]

أما الأحوال المناخية التي كانت سائدة في البحر المتوسط لعبت دورا المهمة في الحركة الملاحية بالبحر المتوسط، وكانت الرياح تدخل البحر المتوسط من المحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق بسرعة كبيرة، وفي أحوال مختلفة كان يشكل حادثا كبيرا أمام سلامة السفن الشراعية، ولكن في بعض الأحيان كانت مناسبة لحركة المراكب، ولكن تشكل حاجزا طبيعيا أمام أي حاكم أو دولة عند الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط،[2] ممن كانوا ينوون أو يعتزمون متابعة سياسية بحرية هجومية لهذا السبب كانت الحملات العثمانية تتم في فصل الصيف بسبب جودة الطقس واعتدال درجات الحرارة في شرقي البحر المتوسط، وهي من أهم أسباب قوة وتقدم الأسطول العثماني وتفوقه على منافسيه، إذ كانت حركة السفن تخضع لقوة الرياح والمد والجزر وهذه القوى هي التي حددت الطريقة التي صممت بها السفن العثمانية وغيرها من سفن البحر المتوسط.[3]

2.1أهم جزر البحر الأبيض المتوسط:

أ. جزيرة رودس:

هي جزيرة يونانية تعد من أشهر جزر البحر المتوسط في جزئه الشرقي وهي بوابة آسيا الصغرى عبر البحر فهي مستطيلة الشكل، بحيث يبلغ طولها حوالي 577 كيلومترا، ويختلف عرضها باختلاف شكلها، كما كانت على مدار الحضارات مركزا تجاريا هاما اتخذتها جماعة الفرسان أو الرهبان موطنا وملجأ لها منذ عام 1909م، وباعتبارها مركزا للقراصنة المسيحيين وما ينجر عن ذلك من تهديد لمصالح

---

[1] مرجع سبق ذكره، ص 32.

[2] جون جوليوس نورويش، **الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثله بحر**، تر: طلعت الشايب، ط1، دار المركز القومي للنشر، 2015، ص 105.

[3] عماد علو، مرجع سابق، ص 88.

وأمن وسلامة السفن في رحلاتها بالأشخاص والسلع،[1] ولكن صنعت الدولة العثمانية من جزيرة رودس ولقد صارت العديد من الحروب لأجلها بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني باعتبارها مركزا حسّاسا.

ولعل أهم ما يؤكد القيمة الاقتصادية لرودس كمركز حساس هي رسالة شارلكان إلى سفيره بانجلترا يأمره فيها بتبليغ محتواها لنظيره :"عليك أن توضح لهم مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي،[2] والذي نشأ عن سقوط جزيرة رودس بيد الأتراك هذا العام، و نكاد نعتقد أن الأتراك سيقومون بمهاجمة العالم المسيحي هذا العام، ولكن أنّى هاجم الأتراك العالم المسيحي فإن ذلك من شأنه أن يعرض كرامتنا بصفتنا الإمبراطور وحامية للكنيسة إلى الامتهان ."[3]

وتعبر الرسالة عن جزء القصة وحجم الأذى الذي لحق بالأوروبيين المسيحيين جراء فقدانهم هذه الجزيرة ذات الأهمية البالغة في المواصلات، والتي ظلت الأكثر من القرنين متتاليين تحت يد القراصنة المسيحيين يعترضون ركب الحجاج وسفنهم وغيرهم من الأعمال التي جلبت على الأوروبيين الأموال والبضائع.[4]

ب. جزيرة البليار:

تقع بين مرسيليا والجزائر وبين طولون وبيزرته، وتقع على مسافة 130 ميلا عن فالنسيا و 250 عن سردينيا، كما أن هذه الجزر تقع شمال الطريق البحري بين جبل طارق ومالطة.

ولقد كانت اهتمامات انجلترا وفرنسا وإيطاليا اهتماما كبيرا بمصير جزر البليار إذ حاولت كل دولة في وقت ما أن تعقد مع اسبانيا معاهدة أو اتفاقية.[5]

---

[1] روبيرت مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للنشر، مصر، 1993، ص 217-218.

[2] أحمد شيميرغيل، **سلطة بنفوذ عثماني**، تر: مهتاب محمد، ج2، ط1، در الثقافة للنشر، الإمارات، 2016، ص 330.

[3] علي حسون، **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، ط3، منشورات المكتب الإسلامي، لبنان، 1994، ص 70.

[4] خلف الوذياني، **الفتح العثماني لجزيرة رودس**، جامعة أم القرى، السعودية، 1997 م، ص 103.

[5] عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي يحزر البالير)**، ط1، دار العالم للملايين للنشر، بيروت، 1914، ص 221.

ج. جزيرتي كورسيكا وسردينيا:

لقد تشاركا في نفس المصير فتبادلتهما دول عديدة إلى أن أصبحت كورسيكا تابعة لفرنسا والسردين تابعة لإيطاليا وأهميتها مع بعض.

تقع سردينيا عند منتصف الطرق البحرية التي تصل جنوب فرنسا وشمال إفريقيا وأنشأت بها أربع قواعد بحرية وهي جلبرى، وسانبتروا، وسان اتلتيكو (في الجنوب)، ومادلينا(في الشمال).

ويفوق موقع كورسيكا من الناحية الاستراتيجية موقع سردينيا فقد أقامت فرنسا في الجزيرة قاعدتي بونيفاشيو في مواجهة مادلينا الإيطالية وأجاكسيو في الغرب مواجهة للبحر المتوسط.[1]

د. جزيرة مالطة:

أهم جزر وسط البحر المتوسط، حيث تقع في منتصف المسافة بين جبل طارق وبور سعيد وعلى ألف ميل تقريبا من كل منهما في بحر صقلية من الشرق المتحكمة في ذلك المضيق المؤدي بين حوضي البحر المتوسط.[2]

هـ. جزيرة صقلية:

واحدة من أكبر الجزر المتوسطية وتتواجد على طول بعد 150 كيلومتر من الشمال الشرقي لتونس، الواقعة في شمال القارة الإفريقية ويفصلها عن البر الرئيسي بواسطة مضيق ميسينا.[3]

2. أهمية حوض المتوسط الاستراتيجية للضفتين:

للبحر المتوسط أهمية كبيرة خاصة من الجانب الحضاري، فهو مهد الحضارات الإفريقية والفرعونية والرومانية والإسلامية، ومن بعدها الحضارة والبحرية العثمانية التي بزغت على سواحلها فالبحر المتوسط يعتبر مهبط الديانات السماوية وعلى ضفافه تم نشر الديانات، فهذا التنوع أعطى للشعوب المطلة عليه حوافز كثيرة ونوازع القوة والغلبة،[4] فاعتبر فضاء لممارسات الاقتصادية، فلقد كان مقر الحركة التجارية وأسست على ضفافه العديد من الموانئ والمدن منذ القدم.

---

[1] جون جوليوس نوروبش، مرجع سابق، ص 109.

[2] يسري الجوهري، مرجع سابق، ص 108-121.

[3] أطلس العالم الكبير، مسجل في وزارة الاقتصاد والتجارة، لبنان، 1999، ص 176.

[4] محمد رفعت بك، **التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، دار الملتزمة للنشر، مصر، 1951، ص 83.

كان حلقة وصل بين الدول من أجل جلب وتبادل السلع التجارية فاحتضن الثورة الصناعية التي كانت بحاجة إلى المواد الأولية.

كان يمثل المعبر الأسرع والأسهل للبواخر والسفن وأصبح أهم ممر تجاري في العالم.

كما يحتوي على قناة السويس [1]التي تحظى بمكانة استراتيجية هامة بطول 164 كيلومتر ومضيق جبل طارق الذي يفصل أوروبا عن إفريقيا من جهة المغرب بمسافة 14 كلم.

كما يحتوي على مضيق الدردنيل بعرض5 إلى 13 كلم، والبوسفور بطول 26 كيلومترا، هذه الأهمية التي تكتسبها جغرافية المتوسط جعلته محل أطماع القوى الكبرى.[2]

كما يعد البحر الأبيض المتوسط حلقة هامة في الطريق التجاري الذي يربط الشرق بالغرب وخصوصا بعد أن تم الربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط عن طريق قناة السويس.

3. التحرشات الأوروبية على المتوسط وجزره وسواحله الجنوبية في القرن 16 م:

شهدت السواحل المغربية مع القرن 16م نزوح مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس 1492 م، ليبدأ عهد المواجهات بين القوى الإسلامية والنصرانية، بحيث وجهت اسباني نيران مدافعها نحو بلدان المغرب العربي والجزائر(**انظر الملحق رقم 2**) والجزائر على وجه الخصوص بحيث جعلت من الأندلسيين الفارين حجة لمهاجمه السواحل الجزائرية.[3]

1.3. الغزو الاسباني للجزائر:

من أهم الأسباب والدوافع التي أدت باسبانيا إلى حملات مسيحية على الجزائر ما يلي:

---

[1] **السويس:** هي ممر مائي بمسوتى البحر يمتد من مصر من الشمال إلى الجنوب، وهي تفصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، وتعد أقصر الطرق التجارية بين أوروبا والبلدان الواقعة حول المحيط الهندي، ينظر: أنور عشقي، **الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس الجديدة**،جريدة الأهرام، العدد 4834، 2018، ص 214.

[2] أنور عشقي، مرجع سابق، ص 216-217.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 108.

أ. الدوافع الدينية :

وهي من أقوى الأسباب وتتمثل في تنصير المسلمين والقضاء عليهم وتنفيذ وصية ايزبيلا[1] وتحقيق أمنيتها في فتح شمال إفريقيا ونشر الدين المسيحي بها.[2]

ب.الدوافع السياسية والعسكرية:

تتمثل في توسيع اسبانيا لإمبراطوريتها من أجل تحقيق سيادتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كذلك من أجل قواعد عسكرية على شواطئ المغرب الأوسط حتى بقية بلدان شمال إفريقيا من أجل قطع الاتصال بين الأندلسيين والمغاربة، ووضع حد للأمور التي كانت تتعرض لها الشواطئ الاسبانية لكي يؤمنوا خطوط مواصلات بين اسبانيا وإيطاليا ويتخذون من تلك القواعد منطلقا لغزو المناطق الداخلية.[3]

ج. الدوافع الاقتصادية:

بعد الكشوفات الجغرافية عملت اسبانيا على السيطرة على أهم الطرق التي تتخذها التجارة، وأهم المراكز في شمال إفريقيا واحتلال المناطق التي كانت أقاليمها تتميز به الثروات الطبيعية والحيوانية خاصة، مقابل كانت اسبانيا تعيش انهيارا اقتصاديا وهجرة أغلبهم نحو السواحل المغربية العربية.[4]

د. سير الحملة الاسبانية على سواحل الجزائر:

كانت خطة الحملة تستهدف السيطرة على سواحل الجزائر، ومن ثمّ إخضاع مناطقها الداخلية مستغلّة الأوضاع التي كانت عليها الجزائر.

---

[1] إيزيبلا: مملكة قشتالة وبعد توحيد اسبانيا وبعدها مملكة أرجون، وفي عهدها انتهت حروب الاسترداد(1504/1479)، وتعرف بأنها هي من دعمت رحلة كولومبس.

[2] شالر وليام، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1824/1816م**، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 89-90.

[3] حمدان خوجة، **المرآة**، تق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.س، ص 87-89.

[4] أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 33-38.

فقد جهد الكاردينال اخسمينيس في سنة 1505م أسطولا يتكون من 134 سفينة بقيادة دييغو فرديناندیز، وانطلقت يوم 29 أوت 1505م باتجاه المرسى الكبير وصلت في 11 سبتمبر، ورغم مقاومة سكان وهران مرسى الكبير في 23 أكتوبر 1505م، واتخذوا منها ميناء لإرساء سفنهم.[1]

وكان هدف الاسبان الزحف نحو مدينة وهران باعتبارها موقعا استراتيجيا، وجهز حملة أخرى بقيادة بيدرو نافارو مكونة من 33 مركبا بحريا، و 51 زورقا تحمل 15000 جندي، وانطلقت الحملة في 15 ماي 1509م، ووصلت في 17 ماي وتمكن من دخولها بعد محاولاتها بعد خيانة أحد اليهود الذي يدعى **سطورا** الذي فتح أبوابها وتمكنوا من السيطرة عليها بعد ذلك واحتلالها.[2]

كما تمكن الاسبان من احتلال بجاية التي كانت تابعة للحفصيين 1510م، ولقد أثر الاحتلال الاسبانية للسواحل الوهرانية وبجاية أثرا نفسيا وتخوفا مما دفع سكانها بعقد إمضاء اتفاقية مع الاسبان يلتزمون فيها بدفع الجزية واعترفوا بالحماية الاسبانية.[3]

كما وقّع معاهدة الجزائر الشيخ سالم التومي 31 جانفي 1510 م مقابل ذلك دفع ضرائب وإقامة حامية عسكرية دائمة وبناء حصن البنيون ، كما قامت مستغانم في 26 ماي 1511 م عن طريق معاهدة استسلام وبهذا مع القرن 16 م أصبحت سواحل المغرب الأوسط تحت السيطرة الاسبانية.[4]

2.3. الاحتلال الاسباني لطرابلس الغرب 1520 م :

لم تقف مطامع الاسبان على الجزائر وتونس وما كان حولها من المدن الساحلية، بل أرادوا التوسع إلى أبعد حد من ذلك ليتمكن من السيطرة على الساحل الشرقي للمغرب العربي، كما سيطروا على الساحل الشمالي.[5]

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492/1742م)**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 94.

[2] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 37.

[3] جون وولف، مرجع سابق، ص 37.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1989، ص 198.

[5] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 216.

وعند عجزها على السيطرة على القسم الشرقي بحيث دبر قائد القوات الإيطالية بيدرو نافارو بحيث لجأ إلى تغيير خطته وبدأ بالتقدم باتجاه الساحل الشمالي عن طريق احتلال طرابلس الغرب ليضغط أكثر على القسم الشرقي.[1]

وهكذا سار بيدرو نافارو إلى طرابلس الغرب، فأرسى أسطوله على ساحلها ودارت معركة كبيرة بين سكان طرابلس الغرب والقوات الإسبانية، وانتهت باحتلال القوات الإسبانية لطرابلس الغرب 25 تموز 1510م بعد أن قتلوا أعداد كبيرة من سكانها وحكموها حكما مباشرا استمر قرابة 20 عاما وتراجع النشاط التجاري في ميناء طرابلس الغرب في ظل الاحتلال الإسباني.

3.3. الاحتلال البرتغالي للسواحل الشمالية للمغرب الأقصى:

إن الغزو الإسباني كان امتدادا لحرب الاسترداد وجزء من النضال ضد مسلمي الأندلس والروح الصليبية التي كانت سائدة التي أثارت نفوذ الكنيسة أصبح ملك البرتغال يصرح ويشجع على الحروب ويعتبر الحروب ضد المسلمين في المغرب مقدسة.

بحيث كانت وراء هذا الغزو دوافع أهمها:

- تزايد عدد السكان النسبي وعدم القدرة على التوسع القاري على حساب قشتالة والبحث عن مجال للنشاط مما دفعهم للاحتلال واستكشاف الشاطئ الإفريقي.
- الأزمة الاقتصادية التي عصفت بأوروبا وكان هدفهم احتلال المغرب لإشرافها على طريق البحر بين جنوب أوروبا وشمالها الغربي عبر مضيق جبل طارق، بحيث كانت قاعدة للقرصنة المغربية يهددون منها السفن الأوروبية سنة 1415 مثل سبتة وطنجة.[2]كما استولوا على القصر عام 1458م، وفي عام 1471م استولوا على أصيلا وطنجة، مما أدى إلى انعكاسات على سكان المغرب

---

[1] ايتوري روسي، **طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر: خليفة محمد التليسي، ط1، مؤسسة الثقافة الليبية للنشر، ليبيا، 1969، ص 89-90.

[2] طيبي المهدية، **محاضرات مقياس تاريخ المغرب الحديث**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الثقانية ليسانس، جامعة المسيلة، 2018، ص 15-16.

الأقصى، بحيث أدى ذلك إلى إثارة المشاعر الدينية والوطنية خاصة بعد ضعف حكامها في مجابهة هذا الاحتلال.[1]

وحينما ظهر نشاط الإسبان المكثف في السواحل المغربية شعر البرتغاليون بالخطر وعرفوا أنهم لم يستطيعوا المواجهة فحولوا نشاطهم الاستعماري إلى سواحل المغرب الأقصى الأطلسي في الغرب.[2]

وحدث في عام 1471 م أن نشبت حرب أهلية في المغرب، فوجد ملك البرتغال فرصة مواتية واجتاز بوغاز واستولى على أصيلا ثم طنجة بعد أن تغلب على المقاومة التي أبداها الجنود وظلت طنجة في قبضة البرتغاليين حتى تم تسليمها من طرف الملك الفونسو السادس إلى تشارلز الثاني ملك انجلترا في السنة الحادية والستين من القرن السابع عشر وقدمها كمهر لأخته ومكثت تحت السيطرة البريطانية 23 عاما.

واحتل أزمور عام 1468 م، والقصر الكبير وأصيلا عام 1471م، كما توغلوا في عهد ايمانويل الأول في مطلع القرن 16 م إلى جنوب مراكش و استولى على مزغن عام 1506 م، وعلى أغادير عام 1513م.[3]

4.3. حملة شارلكان واحتلال تونس 1535 م:

لقد كان الإسبان يريدون احتلال تونس(**انظر ملحق رقم3**) نظرا لموقعها الاستراتيجي الممتاز حيث أنها تطل على مضيق صقلية الرابط بين البحر المتوسط الشرقي والغربي كما أصبحت تبحث عن أسواق خارجية لتسويق تجارتها وثغور جديدة لحماية أساطيلها.[4]

---

[1] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 204.

[2] نفسه، ص 203.

[3] نفسه، ص 204.

[4] التر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989، ص

كما كان تدخل العامل الاقتصادي واتبع سياسة توسعية، حيث توسعوا إلى سواحل الجزائر، واحتلوا وهران وبجاية، ثم دمروا ميناء طرابلس 1510م، مما جعلهم يوجهون أنظارهم إلى تونس التي كانت تشهد صراعا داخليا بين ملوك الدولة الحفصية.[1]

بحيث جهز شارلكان حملة كبيرة ذات عدة وعتاد واحتوت على أكثر من 400 سفينة و 24 ألفا جندي و 15 ألفا فرس.

وكان من بين الجنود القديسين يوحنا وكان السبب وراء هذه الحملة هو سيطرة خير الدين على تونس مما جعله هروب الحسن واستنجاده بملك إسبانيا، ووجد الملك الإسباني الفرصة وأقلع من مدينته يوم 31 ماي1535 م ووصلوا إلى سواحل قرطاجة وسواحل تونس يوم 16 جوان 1535 م.[2]

وباشر شارلكان في قصفه لمنطقة حلق الوادي، فاستولى عليها ثم زحف إلى تونس ودخلها سنة 1535م، وأرجع الملك الحفصي الحسن إلى عرشه بعدما دخل في حمايته وأمضى معه معاهدة الخزي والعرب من أهم شروطها:

- يسمح للإسبان بجميع أنحاء تونس وممارسه شعائرهم الدينية.
- إطلاق جميع الأسرى المسيحيين.
- السماح لأفراد الجيش الإسباني بنهب الأهالي وتقتيلهم مدة ثلاثة أيام متتالية ونتج عن ذلك مجزرة في حق السكان.[3]

لقد كانت هاته بنود المعاهدة سببا في انقلاب السكان على السلطان الحفصي أقام ثورة ضده وخلفه ابنه أحمد أبو العباس الثاني، وقد حاول هذا السلطان أن يوقف الاستعمار الإسباني لكن بدون جدوى.[4]

---

[1] جون وولف، مرجع سابق، ص 107.

[2] الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج5، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1994، ص 85-88.

[3] انظر: التر عزيز سامح، مرجع سابق، ص 115.

[4] محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1985، ص 72-73.

4. التحركات العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط:

1.4. تحرير الجزائر من الاحتلال الإسباني 1519م:

كانت الدولة العثمانية في القرن 16 م أعظم قوة في حوض البحر المتوسط وقوة إسلامية فتية وكسبهم التأييد العربي وبسبب محاولة توحيدهم للمسلمين والدفاع عنهم، وفي هذا الوقت كانت الجزائر في بداية القرن 16 تمر بظروف صعبة، وذلك لتفاقم الخطر الإسباني والبرتغالي واحتلال موانئ جزائرية.[1]

واستضعف في محاربة هذا العدو نتيجة الضعف وتشير إلى أن في مطلع القرن 16 م ذاع صيت الأخوين عروج وخير الدين[2] في الجهاد البحري ونضالهما في إنقاذ بواخر المسلمين الفارة من الاضطهاد الإسباني، وفي ظل هذه الظروف رأى أعيان مدينة الجزائر بضرورة الاستنجاد بعروج خير الدين لتخليصهم من قبضة الإسبان، بحيث أرسل وفدا من مدينة الجزائر إلى عروج في مقره المؤقت بجيجل، طالبين منه الاستنجاد والقدوم عليهم، فقرر عروج بكل سرعة الاستجابة للنداء الصادر إليه من مدينة الجزائر.

فتوجه إليها ومعهم قوة بحرية مؤلفة من 12 سفينة على متنها مدافع وذخائر وألف تركي وانضم إليها الآلاف من سكان المناطق الجبلية،[3] وعند وصولهم إلى المدينة وصادفوا هناك قوة إسبانية مخيمة بالقرب من مرسى بجاية، وأمام هذا الوضع قرر الإخوان تنفيذ حيلة، فانسحب بقواتهم من بجاية الأمر الذي جعل الأسطول الإسباني ينطلق لمطاردتهم، وعندما تأكدوا من أن سفن الإسبان تحت مرمى مدفعيتهما قام بهجوم مفاجئ، وحدثت معركة حاسمة بينهما وتمكنوا من الاستحواذ على سفن إسبانية.[4]

---

[1] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 51.

[2] **عروج وخير الدين:** عرفا باسم بربروسا وهم من أشهر القادة في الجهاد البحري الإسلامي تميزوا بالشجاعة والمغامرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، انظر: خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص 24.

[3] رابح لونيسي، **محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2013، ص 32.

[4] درويش الشافعي، **الحملة الاسبانية على تونس في سنة 1535**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة غرداية، الجزائر، 2017، ص 30.

كما أصدر عروج بعد ذلك الأمر بالهجوم على السفن الإسبانية التي كانت تحتمي بميناء بجاية فحدث بينهما صراع وقتال عنيف الذي تعرض له من خلاله عروج لفقدان ذراعه الأيسر في المحاولة الثانية لتحرير بجاية.[1]

أ. **تحرير جيجل:**

بعد فشل الإخوة في محاولتهم الأولى لتحرير بجاية قررا البحث عن قاعدة جديدة لممارسة نشاطهم فوقع اختيارهم على جيجل، وكانت محتلة من طرف الجنوبيين وفكروا في نزعها منهم وأقام باتصالات سرية مع رجال المدينة والقبائل المحيطة بها، وباشروا الهجوم تمكنوا من التخلص على حاميتها الجنوية، ولكن تركوا بها 50 جنديا و 3 سفن لحمايتها واتخذها الأخوان قاعدة لهم بدلا من جربة وحلق الوادي نظرا لقرب موقعها من أماكن الصراع ضّ الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط، وتم تعيين عروج قائدا لسكان منطقة جيجل، وبهذا تعتبر جيجل أول موطئ عينه الإخوة بربروسا في الجزائر الحديثة.[2]

ب. تحرير بجاية المحاولة الثانية 1514 م:

بعد النجاح الذي حققه الأخوين تحمسان لمحاولة تحرير بجاية من الإسبانيين حيث قام بمحاصرتها من جهتي البر والبحر، واستمر الحصار لمدة ثلاثة أشهر لكن دون جدوى ولكن انسحبوا في عام 1515 م حاولوا التحرير بمساعده الفلاحين الثائرين المدينة وبشروا بمحاصرة الحصن الاسباني الذي يعتبر مركز الدفاع في بجاية لكن نفذت الذخيرة، ولم تصله إمدادات مما جعل عروج يفك الحصار ويحرق أسطوله حتى لا يقع في أيدي أعدائه الاسبان وفشلوا في تحرير بجاية للمرة الثانية.[3]

ت. تحرير الجزائر1516م:

بعد وفاة الملك الاسباني فرديناند يوم 23 جانفي 1516 م، قرر سكان الجزائر التخلص من المعاهدة التي وقعوها مع الاسبان فقاموا الاستنجاد بعروج بواسطة رئيسهم السالم التومي ليحررهم من هذه

---

[1] شارل فيرو، **تاريخ جيجلي**، تح: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص 98.

[2] مرجع نفسه، ص 100.

[3] درويش الشافعي، المرجع السابق، ص 100.

القلعة وجاء في رسالة الإمام أبي العباس أحمد بن القاضي الزواوي[1] الذي كان يقاوم الاسبان بقوله أن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب.[2]

وفي ذلك الحين أدرك عروج الموقع الممتاز على البحر الذي يربط بين بجاية ووهران وأدرك أنها نقطة الأهم لإنقاذ بجاية والمدن الأخرى المحتلة كما أن الاستحواذ على الجزائر سيكون بمثابة خطوة لتأسيس حكم جديد في الجزائر.[3]

وقام عروج بالاتصال بأخيه وأخبره بذلك، وطلب منه تجنيد المتطوعين الراغبين في القتال ضد الإسبان ومنه بدأوا في الاستعداد لمحاربة الإسبانيين، ورغم تحالف سالم التومي مع الإسبان وخيانته للإخوة فلما علم عروج بذلك تم قتله، ولقد دخل عروج في صراع مع الإسبانيين لكن تلك الحملة لم تنجح أمام مخطط عروج الهجومي، كما هبّت عاصفة رياح دمرت السفن الإسبانية وألقت بهم فوق الرمال وإثر هذا الانتصار تم ضم عدة مدن منها البليدة وملیانة والمدية، واعترفت القبائل والسكان بوجوده وسيادته وأرسوا ميناءهم وباشروا في تحرير المدن الأخرى مثل تنس سنة 1517 م.[4]

وبعد حادثة تلمسان قتل عروج وأخاه إسحاق مما جعل خير الدين وحده يقرر السفر بسبب عدة نقائص كنقص شعبيته، وعدم وجود علاقة مع القبائل لكن أعيان الجزائر رفضوا ذلك وطلبوا البقاء ورد عليهم بقوله: "أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم، وقد ظهر لي من الرأي أن تصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم فيعدون بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلات الجهات ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه وقرب السكة عليها."

---

[1] **أحمد بن القاضي الزواوي:** هو من علماء وفضلاء الجزائر كان يحاول نشر الدين وشعائره، ينظر: محمد بن عشر الحسيني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، مطبوعات دار المغرب للترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 50-59.

[2] خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 50-53.

[3] عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، دار لامة، الجزائر، 2013، ص 371.

[4] عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 2004، ج2، ص 182-184.

وأيد أهل الجزائر رأيه وأمرهم خير الدين بكتابة رسالة موجهة من سكان بلده الجزائر بإعلانهم لطاعة السلطان وربط الجزائر بالدولة العثمانية في1519/10/03م.[1]

2.4. تحرير طرابلس الغرب ودخولها تحت الحكم العثماني:

بعد احتلال طرابلس من طرف الحامية الإسبانية مما شكل خطورة خاصة بعد ازدياد تمردها وتعيين القديسين يوحنا مما جعل شوكة للإسبانيين تقوى وتزداد، فقد اضطر سكان تاجوراء إلى تشكيل وفد سنة 1520 م، والاتصال بالخليفة السلطان العثماني سليمان الأول طالبين النجدة،[2] فاستقبلهم ولبّى نداءهم وعين مراد آغا واليا عليهم، وكلفه بتحرير المدينة بحيث أول خطوة قام بها هي اكتساب قوة وجند، وقرر بعد إصدار نائب ملك جزيرة صقلية هيغو مونكادا في 1511 م بتقديم تسهيلات لمن يرغب في السفر إلى طرابلس ومنحهم امتيازات تتمثل في المال والأرض.

وبعد دراسة الوضع درس كيف يحرر المدينة بالإضافة إلى محاولاته المتكررة من خلال مدينة تاجوراء التي كانت المنطلق بالنسبة لمراد آغا خاصة بعد تقويه جبهته الداخلية.[3]

وفي 18 جويلية 1551 أرسل السلطان العثماني سناء باشا مع مراد آغا فرفعوا الحصار على مدينة طرابلس بقوة جيش تقدر ب 150 سفينة حربية على متنها 17000 جندي و 600 فارس فاحتلوا غوزو وانتزعوها من الفرسان.

وفي اليوم التاسع من شهر أوت بدأ الهجوم العثماني على طرابلس واستمرت المعركة مدة أسبوع، وحيث أدرك فابير أن الهزيمة لحقت به ذهب لسنان باشا الذي بدوره كبّله، [4]وكان يريد التفاوض لكن سنان باشا حذر السكان أن أي تحرك يكلفهم غاليا فطلب منهم الخروج من القصر وترك كل شيء

---

[1] جمال فنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1987، ص 62-68.

[2] ابن غلبون، **تاريخ طرابلس الغرب**، تع: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 90-94.

[3] خليفة محمد التلبيسي، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، ط3، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1997، ص 68-69.

[4] أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ج1، د.ط، مكتبة الفرجاني، د.س، طرابلس، ليبيا، ، ص 185.

وأخرجوا النصارى من المدينة ودخل درغوث باشا سنان باشا ومراد آغا مدينة طرابلس يوم 16 أوت 1551 م معلنين نهاية المسيحيين الإسبانيين على طرابلس.[1]

و في الختام لقد كان لموقع البحر المتوسط وإطلال دول المغرب العربي على سواحله بمثابة للدول الأوروبية لاكتسابها واحتلالها بعدة دوافع وذرائع لاكتساح الواجهة الأخرى، لكن ظهور الإخوة بربروس ودورهم في التصدي للقوات الأوروبية والدفاع على موانئ المغرب العربي الساحلية الإسلامية وتقديمهم العون وحماية سكانها من التحرشات الاسبانية وأثمرت جهودهم في فك الجزائر لتصبح إيالة عثمانية، وطرابلس الغرب فاعتبر القرن 16م قرن التحولات الكبيرة على جميع المستويات وعرف بقرن المجابهات الحربية والتحولات السياسية الضخمة عبر البحر الأبيض المتوسط.

[1] أحمد النائب الأنصاري، مرجع سابق، ص 187.

الفصل الثاني:

جزيرة جربة: الخلفية التاريخية والجغرافية العسكرية

الفصل الثاني:

جزيرة جربة: الخلفية التاريخية والجغرافية العسكرية

1. جزيرة جربة في أواخر العهد الحفصي
2. جزيرة جربة والخصوصية التاريخية والجغرافية والاستراتيجية
3. الحملات الأوروبية على جربة ما بين 1510-1551م

إن البحر المتوسط غني بجزره والدول المطلة على ضفافه، ومن بين جزره ما سنتناوله في فصلنا هذا جزيرة جربة والتي برزت على ضفافها قوى سياسية متركزة في جنوب غرب أوروبا وشرق البحر المتوسط الذي جعلوها بؤرة صراع بينهما، واشتد بصورة كبيرة بين الاسبان والعثمانيين وسكان جربة الذين راحوا يدافعون عن موطنهم، كل هذه الأحداث وأهم الحملات التي شنها العالم المسيحي على جزيرة جربة التي اتخذناها كأنموذج سنستعرض تفاصيله في فصلنها الفصل.

1. جزيرة جربة في أواخر العهد الحفصي:

لقد كان تأسيس دولة بني حفص سنة 206هـ/ 1288 م بحيث كانت كإمارة مستقلة، ويرجع إلى أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن إدريس بن خالد بن اليسار، ولقد عرفت الدولة الحفصية في نهاية القرن 15 م وبداية القرن 16 م تقلبات ومرحلة ضعف، فبعد وفاة أبي عمرو عثمان جاء بعده زكريا ابن عمه وأبو عبد الله، وفي فترة حكمه شهدت الدولة الحفصية بتونس (**أنظر الملحق رقم 03)** أعلى انحطاط كون الحاكم ضعيف الشخصية وأهمل الشؤون السياسية للدولة وانغمس في الملذات، فلم تعد متماسكة كما كانت من قبل.[1]

بحيث استقلت عنها مناطق كثيرة وقال ابن الدينار :"ختام بني حفص لدرجة الانهيار بحيث أصبح حاكما باسم بدون رسم"[2] وبعد وفاته تأزمت الأوضاع السياسية لدولة بحيث أصبحت تخضع لهجمات قبائل وصلت لحد أسوار مدينة تونس، وأصبحت بعض مدنه مستقلة ذاتيا مثل الجريد، وأصبح السلطان حسن متعاونا مع القوى الخارجية.[3]

وصراع داخلي من أجل الحكم بين أبناء البيت الحفصي وما ترتب عن ذلك من صراع عنيف وقتال دموي.

---

[1] روبار برتشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، تر: حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 39.

[2] ابن الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869، ص 150.

[3] شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريفيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب) من الفتح الإسلامي إلى 1830م**، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، مؤسسة تاولت للنشر، 2011، ص 328-329.

وتراجع البحرية التونسية مما أدى إلى نقص الموارد المالية وظهور الأزمات الاقتصادية بسبب نقص الموارد المادية التي اعتادوا الحصول عليها من التجارة الصحراوية والمتوسطية، فأدى ذلك إلى تدني المستوى المعيشي الحرفي للسكان الذين كانوا يعتمدون عليه في قوتهم اليومي.

وقل الإنتاج الفلاحي مما أدى إلى تدهور وغلاء الأسعار وبعد رجال الدين والطرق الصوفية وأصبحت ثورات داخلية وتفكك سياسي بين الحكام والأهالي مما خلق ثغرة[1].

2. جزيرة جربة والخصوصية التاريخية والجغرافية والاستراتيجية:

1.2. التسمية:

عرفت بأسماء عديدة وصفها هوميروس في كتابه الأوذيسة جزيرة **اللوطوفاج** اسم جزيرة **فيلا** ثم اسم **مينانكس** إلى حين ظهور اسم **جيربا** الذي عثر عليه في نقوش حفرية بالبرج الكبير، وبمرور الأعوان **جربا** ثم **جربة** وحافظت على هذه التسمية إلى يومنا هذا.[2]

فلقد وصفت من طرف المؤرخين بحيث قال عنها: "من أعظم الجزائر خطرا وأشهرها في سالف الزمن عمارة."

ويصفها أرسطو فيقول:" جربة (**أنظر الملحق رقم 04**) بلد الهواء النقي والنسيم اللطيف والشمس العذبة صافية الأديم متلألئة في بحر تتموج مياهه اللازوردية على رمال الشاطئ الذهبية."[3]

ولقد نعتها ابن خلدون الذي يقول فيها:

" سميت جربة على اسم فرقة من قبائل الماية البربرية، وأهلها من قبيلة كتامة ومن بطونها قبيلة سدويكش وصدغيان وسكانها قبائل نغزة وهوارة."

أما ما ذهب إليه الأستاذ محمد المرزوقي من أن سبب تسميتها بجربة بكسر الجيم إلى قبيلة في الجاهلية سكانها من اليونان كانت تعبد صنما من الذهب بالكنيسة التي بقرب القنطرة وهي الآن خراب فلما جاءت الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقيا رفع اليونانيون هذا الصنم وحملوه إلى اسبانيا."[4]

---

[1] محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح: محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 45.

[2] حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1963، ص 220-235.

[3] أبو محمد عبد الله بن عبد الله، **رحالة التجاني**، تق: حسن حسني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 122.

[4] يوسف بن محمد الباروني، مرجع سابق، ص 8

2.2. الموقع والسكان:

تقع جزيرة جربة في الركن الجنوبي الغربي من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط خليجي قابسة فهي متفتحة على البحر المتوسط والصحراء وشكلها مربع ويبلغ طول الامتداد من الشمال إلى الجنوب قرابة 29.5 كيلومتر في حين يبلغ الامتداد بين الشرق إلى الغرب 29 كيلومتر وطول ساحله حوالي 125 كيلومتر، تبلغ 514 كلم².

ويصل ارتفاع جزيرة جربة عن الأرض حوالي 50 متر فهي منبسطة وخالية من المرتفعات هي عبارة عن سهل تتخلله تربتها الرملية.[1]

وتتميز بقلة أمطارها إذ أن المعدل السنوي للتساقطات في حدود 200 ملم[2] ،وهذه الأمطار غير منتظمة كما تحتوي على رطوبة عالية وحرارة معتدلة في كامل السنة.

أما تضاريسها البحرية تتميز بوجود المسطحات البحرية ، يطوقها من أغلب الجهات مما وفر لها حصون طبيعية تمنع السفن الحربية من الوصول إلى سواحلها.[2]

يرجع أصول سكان جربة إلى الشمال الإفريقي المتعارف عندنا أن الأمازيغ السكان الأصليون له، ولقدو كانوا أول من سكن بواديها وحوافرها وهضابها.

ولقد ذكر أمين سلامة عنتر وجود هذا الشعب في معجمه بحيث يقول :" وهي من بين المدن التونسية المنطوية على نفسها أي ذاتها وهذا لأنها تبعد عنها قليلا بحيث عاشت أوروبا 140 سنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والحرية السياسية والدينية."

كما كان سكانها يتبعون المذهب الإباضي عن اقتناع لما رأوا فيه من مبادئ سليمة التي تتماشى وروح الدين الإسلامي، لأن دعاتهم كانوا يمثلون الإسلام عقيدة وسلوكا وكان شيوخ العلم في جربة هم من يتولون شؤونها الداخلية والخارجية.[3]

---

[1] يوسف بن محمد الباروني ، مرجع سابق ، ص8.

[2] الياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر للنشر، بيروت، 1977، ص 148.

[3] سحابات زهيرة، **الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني(1628-1830م)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سيدي بلعباس، الجزائر، 2020/2019، ص 200.

وكانت ملاذا للأقليات العرقية كانت أو دينية وربما يعود لذلك لموقعها البحري المنعزل نوعا ما بحيث أوت مختلف السكان رغم تعدد دياناتهم وبلادتهم من مسيحيين وكاثوليكيين وأرثوذكس، كذلك أقلية من السود سكنت الجزيرة واعتنقوا الإسلام.

أحد الأساطير في اليونان أوليس رحلته البحرية فيقول فيها:

"لقد هبت رياح شمالية عاتية حملتنا إلى هذه الجزيرة بعد تسعه أيام وفي اليوم العاشر حطت بنا السفينة على شاطئ الجزيرة ونحن في أشد الحاجة إلى الماء والطعام لنتغدى به، فلم نجد سوى زهور تسمى النبق وشربنا ماء عيونها وأكلنا النبق ويقول استقبلونا بحفاوة ويضيف لما أكلنا من هذه الزهور يقصد نفسه شعرنا بجاذبيته أنستني أهلي وذريتي فرفضت العودة إلى مسقط رأسي وبقيت على هاته الأرض الطيبة."[1]ولقد اعتمد سكان على الزراعة والتجارة والصناعة وهذه العناصر الثلاثة التي يستمد منها سكانها قوت يومهم.

كذلك بحكم أنها جزيرة فلقد مارسوا الصّيد البحري الذي كان يعيش منه كبير من سكان جربة.[2]

3.2. التحصينات:

- **مفهوم التحصينات:**

لغة: مفرد حصن وهو كل لا يوصل إلى ما في جوفه.

اصطلاحا: هي عبارة عن مجموعة من المنشآت والموانع التي تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية.[3]ولقد تعددت وتنوعت هذه التحصينات من مساجد وأبراج وقلاع وغيرها، مما لعب دورا دفاعيا لمواجهة الأخطار على السواحل الجزيرة الجربية.

---

[1] أمين سلامة، **كتاب معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، ط2، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، السويس، مصر، 1988، ص 180.

[2] حسن لوزان، مصدر سابق، ص 262.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مج1، دار الدعوة للنشر، تركيا، 1985، ص 180.

- **أنواع التحصينات:**
- **المساجد الناتئة**

وهي المساجد الواقعة في المواقع العليا على شواطئ الجزيرة،[1] على سبيل المثال بحيث كانت تلعب دورا نقاط المراقبة والإنذار المبكر في جزيرة مفتوحة على كل الجهات وأحجامها، غالبا ما تكون محدودة وتتميز بمتانة البناء وتوفر التجهيزات الدفاعية وهي لا تختلف عن الموانع العسكرية الأخرى.[2]

- **الأبراج:**

يقال أن كلمة برج مأخوذة من كلمة burgus بالسريانية، ومعناها الحصن كما أشار ابن الرامي ولقد عرفت الجزيرة جربة عدة حصون دفاعية، كما قام درغوث بها وأقام برجا بها.

ولقد كانت منتشرة بكثرة، وهذا يدل على وجود استراتيجية عسكرية مدروسة في توفير الأمن الداخلي مع القبائل المتمردة ومن أهميته الأبراج ما يلي:[3]

- **البرج الكبير:**

أو برج الحصار يقع في الجهة الشمالية لجربة على حافة البحر بجانب ميناء حومة السوق شرقي المرسى وهو من أضخم آثار الجزيرة وأكبرها (**أنظر الملحق رقم 05**)

سمي بالحصار لأنها كلمة تركية الأصل معناها القلعة أو الحصن وسمي ببرج الغازي مصطفى الذي اتخذه مقرا له ومع حاشيته وتم ترميمه في عهد سليمان القانوني (1520م/1566) م.

ويعد البرج من أشهر المباني للجزيرة وهو مستطيل الشكل تبلغ مساحته حوالي 3600م² ويتوسطه صحن فسيح ، ويضم عدة مرافق منها بيوت ومساجد وإسطبلات وغيرها وتحيط به جدران عاليه يبلغ 15 متر مبنية بالأحجار المصقولة، ويوجد حوله خندق في عرض15 مترا يملؤه ماء البحر، ليكون سياجا دفاعيا حصينا، فلقد كان الدخول إلى هذا البرج عبر جسر متحرك.[4]

---

[1] الهيثم مقدم الأيوبي، **موضوع التحصينات**، ج1، ط1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1977، ص 255.

[2] كريم بلقاسم، **مساجد جربة التونسية**، جريدة الشرق الأوسط، العدد 10893، د.د.ن، ص 23.

[3] الهيثم مقدم الأيوبي، مرجع نفسه، ص 256.

[4] الشيخ سالم بن يعقوب، **تاريخ جزيرة جربة**، دار الجويني للنشر، القاهرة، 1986، ص 26-28.

- **برج القشتيل:**

يقع في أقصى الجنوب الشرقي للجزيرة شرقي القنطرة فوق حاجز رملي، يفصل بين البحر والسبخة تحيط به من المغرب والشمال، سبخة أودية، وهو حصن مربع الشكل ومتين البناء طول ضلعه حوالي 40 متر ويحتوي على بيوت صغيره كان يقيم بها الحراس (**أنظر الملحق رقم 06**).[1]

- **برج العقرب:**

يقع بين شبه الجزيرة تاربلة والقنطرة، شكله مستدير وتبلغ مساحته حوالي 10 متر مربع، وتحيط به مياه البحر في عمق ثلاثة أمتار تقريبا، وما تزال قواعد وجدرانه قائمة، وهو مقسم إلى ثلاث حجرات صغيرة، ويقال أن أحد أمراء جربة قديما بناه لحماية ابنه من لدغ العقرب وذلك بعد أن مات عدد أبنائه بذلك السبب في كل مرة، ويحكى أن في مرة من المرات أرسلت له هدية تتمثل في سلة عنب وكانت بها عقرب لذلك فلسعته ومات (**أنظر الملحق رقم 07**) [2]

3.الأهمية الاستراتيجية:

– اعتبرت جربة طريق بحري وبري يربط بين البحر المتوسط والصحراء مما جعل الاقتصاد وخاصة التجارة مزدهرة فيها و ذلك راجع لغناها بالثروات الطبيعية والموارد الباطنية، وكانت تعتبر منارة حضارية وثقافية وفكرية تواصلية ببعدها الإنساني، كذلك كانت أيضا مسرحا للصراعات والحروب بين القوى الكبرى الساعية لمدّ نفوذها والسيطرة على ممراتها والأهمية الاستراتيجية التي تميزت بها منذ اكتشافها جعلت من موانئها حلبة صراع بين الدول والشعوب.

و لقد لعبت جزيرة جربة همزة وصل بين إفريقيا السوداء وأوروبا البيضاء وبهذا تعتبر أقدم الجهات اتصالا بالمدنيات الشرقية والغربية، كما تميزت بمظاهرها الطبيعية التي عن بقية الجهات، وتعتبر بذلك أكبر الجزر التونسية.[3]

---

[1] مصدر سبق ذكره، ص32.

[2] الشيخ بن أحمد الجيلالي الجربي، محمد المريمي، **المعرفة التاريخية والدولة لدى مؤرخي الأطراف في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**، ندوة سطور، العدد 7، يناير 2008، ص 298-297.

[3] يوسف بن محمد الباروني، مرجع سابق، ص 2-10.

4.الحملات الأوروبية على جربة ما بين (1510-1551م):

1.3. الحملة المسيحية على جربة 1510م:

بعد احتلال طرابلس عمت الأفراح أوروبا المسيحية بما فيهم الإسبان الذين تشجعوا لذلك بحيث أقاموا حفلات كلما يحتلون ساحلا من إفريقيا.[1]

ولقد عملت إسبانيا على تحضير نفسها خلال الشتاء والربيع من سنة 1510م/1511م لمواصلة استعمارهم وحملاتهم على السواحل الشمالية لإفريقيا، وكان مزعما على أن تنطلق الحملة من مالطة لكن الملك فرديناند انصرف ذلك واهتم بشؤون طرابلس، لكي يتخذ موقعا استراتيجيا ينطلق منها لمواصلة حملاته على الشمال الإفريقي.

والحملة لم تتوقف فلقد تولى قيادة المهمة القرصان الإسباني بيدرو نافارو مخططا لاحتلال جربة وطلب من ملك صقلية إرسال المدافع وتمديده بالذخائر.

ولقد كان يتركب الأسطول الإسباني من 12 سفينة بقيادة بيدرو نافارو[2] موجها أنظاره نحو جربة لاحتلالها، ولقد حلت الحملة في يوم الثلاثاء 29 ربيع الأول سنة 916 هـ /30 جويلية 1510م، ورسي الأسطول الإسباني قريبا من حصن القشتيل وأرسل رسولا إلى شيخ جربة آنذاك،[3]أبي زكريا يحيى السمومني بحيث يحمل معه رسالة له من القائد بيدرو نافارو طالبا منه الاستسلام وتسليم الجزيرة أو القتال لكن أجابه بأن السكان على جزيرتهم وأنهم مستعدون للقيام بحرب إلى آخر قطرة دم من آخر السكان وأنهم لم يسمحوا لهم بأخذ أرضهم بغير حق.[4]

وعندما وصل المبعوث إلى بيدرو نافارو أخبره بما قيل له فأخذ فكر في القتال أو العودة وتعزيز قواته العسكرية ليضمن لنفسه النصر، وفي الأخير قرر الانسحاب إلى طرابلس.

---

[1] عمر الباروني، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، د.د.ن، 2001، ص 120.

[2] **بيدرو نافارو:** بحار اسباني ومهندس عسكري وأحد العناصر الفاعلة في صراعات البحر المتوسط.

[3] Garrot Henri, **Histoire général de l'Algérie,** impr crescenzocollection, paris, 1910, p348-350.

[4] يوسف بن محمد الباروني، مرجع سابق، ص 42-43.

و عندما عاد إلى طرابلس عزز قواته بكل ما تحمل السفن، بحيث بلغ عدد المراكب 120 سفينة تحمل حوالي 15000 مقاتل محملين بالأسلحة وترك البعض الآخر لحماية طرابلس بحيث نزلت الحملة على بعد ميل من الجزيرة.

وأنزل العدو جيشه على شكل صفوف بينما أبي يحيى السمومني كان يحثّ المقاتلين على ضرورة الجهاد في سبيل الله بحيث بلغ عدد جندي حوالي 3000 مجاهد.

وبدأت مواجهة بين الطرفين في صباح يوم الجمعة وكان أبو زكريا يرتب جيشه ويتفقده ويدعوهم للصبر والثبات ولما شن الهجوم[1] عاد المسلمون أدراجهم ولحق بهم الاسبانيين إلى داخل الجزيرة بحيث خطط لهم مكيدة حربية نصبوها لهم، وعندما تقدموا قطعوا بينهم وبين البحر حتى لا يفروا، وهنا قام الهجوم عليهم بالسيوف و تشجع المسلمون تحت صيحات التكبير، وبذلك تم هزمهم شر الهزيمة ولقد خسر نافارو نحو ثلاثة آلاف قتيل، وتم موت العديد من الشخصيات على رأسهم دوق ألب دون فاريز الذي زعم الاسبان أنه مات من شدة العطش.

ولما أقلعت سفنهم عائده أدراجها ومعها خيبة الفشل والخسارة هبّت عاصفة شديدة بحيث عرقلت حركة الأسطول من التحرك وأغرقت العديد من السفن المتبقية، ووصلت بقايا الأسطول إلى طرابلس في 19 سبتمبر 1510 م.

وفي سنة 1511م حاول بيدرو نافارو احتلال قريته القريبة من جربة ليتمكن من جعلها نقطه قوة بحيث نزل في مكان يسمى ماجل السلطان لكن بني برجا جعله مركزا ينطلق منه ليحقق هدفه في الاستيلاء، على جربة لكن هذه الحملة الصليبية لم تنجح أمام التكاثف جهود السكان مهاجمته للعدو وانتصارهم عليه.[2]

---

[1] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، مرجع سابق، ص 211.

[2] Mounchicourt : **La tunisie et l'europe**, document aux xvi.xvii.et xviii siècles, r.t, 1905, p 98-99.

2.3. الحملة المسيحية على جربة عام 1520 م:

إن الهزيمة الكبيرة التي لحقت المسيحيين في جربة عام 1510 م كانت قاسية من الصعب نسيانها، بحيث أن المسيحيين كانوا يعدون للانتقام وخلف الثأر من تلك المعركة التي فقد فيها الجنود وسمعتهم عبر العالم.[1]

وفي سنة 1520 رأى أن الوقت المناسب لذلك فجهزوا أساطيلهم وأعدوا العدة لذلك من كل النواحي سواء العسكرية سفن ومدافع، أو التوقيت لكون حملة كبيرة ضد جربة وسكانها، وكان القائد هو دومونكا المسؤول والمدبر لهاته الحملة على جربة.

وانطلق الأسطول الاسباني المسيحي ونزل بجربة وتمركز بها وأرغم شيخها على إمضاء اتفاق ينص على ثلاثة أشياء هي:

- دفع جربة جزية سنوية للاسبان.
- منع البحارة المسلمين وخاصة الأتراك من التمركز بالجزيرة.
- كما طلب بإرسال وفد يمثل سكان جربة إلى شارلكان[2] باسبانيا ليعلن له الخضوع والاستسلام، غير أن السمومني وفي بداية الأمر فقط لإبعاد الخطر عن الجزيرة حتى ينسحب المحتلون من بلاده، غير أن شيخ جربة لم يعمل بهذا الاتفاق ولكن الاسبان لم تعد للجزيرة.[3]

3.3. الحملة المسيحية على جربة 1551م:

في سنة 1540 م تم حدوث اضطراب بالمهدية التي احتلها الاسبان، ولكن سرعان ما انسحبت منها فتم التضارب على حكمها فاتصل سكانها بدرغوث[4] (**أنظر الملحق رقم 08**) الذي فصل في ذلك وعين ابن اختي خير الدين الذي يدعى شمشرجفي.

---

[1] Mounchicourt, IBID, p101-102.

[2] **شارلكان:** أعظم ملوك القرن السادس عشر، وهو شارل الخامس، وهو ملك اسبانيا.

[3] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 212-213.

[4] **درغوث:** من اشهر رياس البحر في عهد خير الدين وحسن آغا أصله من جزيرة رودس، ذو خبرة كبيرة في البحر، تصدّى للقائد أندري دوريا، ينظر: يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830**، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009، ص 202-204.

وفي 15 جوان 1540 م وقع درغوث اسيرا في أيدي دوريا حفيد أندري دوريا وباقي عنده لمدة أربع سنوات ولكن خير الدين خلصه من ذلك وتمركزت بالمهدية وجعلها قاعدة له وأخذ يواجه من هناك الحملات المسيحية وخاصة الاسبان، من خلال انتصاراته ومطاردته للمسيحيين على سواحل جربة في 1510م وقابس ومحاولته التمركز في قفصة.[1]

أما الرايس حسن قورصو قد وجه جواسيس ليستعلموا له عن تحركات الأسطول المسيحي فجاءه الخبر باستعداد أسطول شارلكان للاتجاه إلى مدينة المهدية لتقوية دفاعها، فتخوف أن يمر على قابس ويحاصرها، وانسحب من وادي قابس يوم 12 فيفري 1551م، واتجه إلى جربة بكل المراكب البحرية التي كانت تحت يديه ووصل إليها في شهر مارس ورسي أمام البرج الكبير على الساحل الشمالي للجزيرة والتحاقه بدرغوث بعد محاولته في تحرير قفصة.[2]

4.3. تحضير المسيحيين للهجوم على جربة:

عندما علم المسيحيون بدرغوث وحسن قورصو [3]وتحركاتهم خاصة ما يقوم به درغوث في عرض البحر المتوسط أثار غضبهم وتخوفهم على أهدافهم ومصالحهم في البحر المتوسط، فأجروا اتصالات مكثفه بينهم فتخابر حاكم المهدية وحكام إمارات صقلية وملك اسبانيا في ما بينهم، واتفقوا على ضرورة مواجهة درغوث وتوقيف زحفه هذا بعمل عسكري حاسم، لكي يضعوا حدّا لنشاطاته وأعماله البحرية حتى يفتح الطريقة للأساطيل المسيحية في البحر بين الموانئ التونسية (جربة، المهدية) وبين إيطاليا وتونس

---

[1] **قفصة:** تميزت بموقعها المحوري خاصة في شبكة الطرقات الرابطة في بلاد السودان والقيروان، ينظر: حسن، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج2، جامعة تونس، 1999، ص 297.

[2] ابن أبي لحية، **نور الأرماش في مناقب أبي الغيث الفشاش**، تق: لطفي عيسى، المكتبة العتيقة، دون ذكر البلد، 1998، ص 289.

[3] **حسن قورصو:** من مواليد 1518 م في كورسيكا وكان ذا مكانة في الجيش العثماني، توفي في الجزائر سنة 1556م ، ينظر: أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، 1974، ص 162.

كما تخوفوا من ضياع المهدية من سيطرتهم، وقاموا بتجميع الجند والمدافع وطلب الإمدادات العسكرية من صقلية بحيث جمعوا حوالي 27 مركبا بحريا.[1]

وفي مارس 1551م، توجه اندري دوريا العجوز الهرم بأسطوله إلى ترابانى[2] الشمالية الغربية للصقلية وأجرى اتصالات مع حاكم المهدية وأمراء الدويلات الإيطالية واسبانيا.

وتمركز في المهدية يوم 12 أفريل وقام بإفراغ الحمولة العسكرية، وتوجه إلى مضيق القنطرة ليفرض حصارا على درغوث ليستولي على مراكبه[3] ويأسر قواته، وعندما رأى وعلم أن جزيرة جربة مدججة بالسفن والمدافع والتحصينات، راح يطلب النجدة مرة أخرى من حكام المهدية وصقلية ونابولي كما اتصل بشيخ جربة وحرضه مع درغوث من الفرار برا.

ولكن شيخ جربة ذهب إلى درغوث وأخبره بنية دوريا وتخطيطه من أجل القضاء عليه، كما قام أندري دوريا بتحريض أمير تونس بكار الذي كان مارا من هناك في طريقه من صقلية إلى تونس لتولي عرش أبيه الذي توفي فطلب منه دور استعمال قواته ضد درغوث في جربة.

وفي يوم 13 أفريل بدأ دوريا محاولاته ضدّ درغوث في الجهة الشرقية بالمضيق القنطرة بالمكان الذي يسميه الاسبان لاروشيته على بعد 14 كلم شمالا.[4]

واصطدم دوريا بمجموعة من الجنود الأتراك يقدر عددهم حوالي 300 رجلا وأحس بقوة الإمكانيات الهائلة بالدفاع العثماني.

وعندما أرسل دوريا فرقاطة (**أنظر الملحق رقم 09**) إلى داخل القنطرة ليتعرف جنودها عن الطريق أسرع درغوث إليها بسرعة وانتزع الأعلام البيضاء التي غرسها جنودها كخدعة وكعلامة على الطريق.[5]

ولقد خطط الدروس في إشغال دوريا بالمناوشات المتعددة في شرق القنطرة والعمل على تسهيل فتح الطريق لمراكبه البحرية من الناحية الغربية، كما قام جنوده بفتح تسهيل الطريق بحيث حوالي ألفين

---

[1] Mounchicourt, IBID, p34-38.

[2] **ترابانى:** مدينة إيطالية على الساحل الغربي في صقلية وهي ميناء مهم، ينظر: openstreetmap

[3] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، مرجع سابق، ص 213.

[4] نفسه، ص 213.

[5] Mounchicourt, IBID, p38-45.

جندي قاموا بتعبيد الطريق وقاموا بجرها جرّا بواسطة سلاسل حديدية وحبال، وبعد ثمانية أيام تمكنوا من إيصال كل المراكب إلى المياه العميقة غرب القنطرة.

بحيث بذل سكان جربة وشيخها كل ما في وسعهم لمساعدتهم وتقديم يد العون،[1] وبهذه العملية الفطنة والخطة الذكية من طرف درغوث أفلت من الحصار الذي كان أندري دوريا يزعم توقيع درغوث فيه وعندما علم دوريا أن فشله بدأ يظهر من خلال تغيير موقع درغوث تخوف أن يهجم عليه من الجهة الشرقية فأسرع في الرحيل متكبدا هزيمته وفشل في تحقيق هدفه المنشود.[2]

خلاصة الفصل:

إن الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به جزيرة جربة ومواردها الطبيعية وأهميتها الاستراتيجية جعل منها تقوم بتحصينات دفاعية من أجل حماية خيراتها وحماية نفسها وسواحلها عن طريق تشييد الأبراج والتحصينات على سواحلها.

ورغم ذلك فلقد عرفت أخطارا خارجية وحملات بسبب موقعها وتدهور الأوضاع السياسية للدولة الحفصية مما سمح للدول الأجنبية في التسارع والتسابق للظفر بها، ومن أجل رد الثأر للمسيحيين الذين يكنون حقدا صليبيا تجاه المسلمين والعثمانيين خاصة المتواجدين بها.

ومن بين هذه الدول إسبانيا وإيطاليا وصقلية وحتى ملوك أوروبا المسيحية الذين اجتمعوا من أجل التخطيط والتدبير لذلك.

فلقد عرفت جربة حملات على سواحلها بداية من سنة 1510 م إلى غاية 1551 م في فصلنا هذا، ولكن سكانها وشيوخها وبفضل المجهودات العثمانية تم إفشال الحملات المسيحية التي هددت جزيرة جربة وسكانها خاصة وتونس عامة من أجل فتح طريق لهم في البحر لإيطاليا وإسبانيا لأساطيلهم البحرية.

---

[1] يحي بوعزيز، مرجع نفسه، ص 213.

[2] محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق، تح: حمادي الساحلي الجيلالي، بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

الفصل الثالث: جربة في مواجهة الأوروبيين و الاستعانة بالعثمانيين

الفصل الثالث:

جربة في مواجهة الأوروبيين و الاستعانة بالعثمانيين

1. دوافع التدخل العثماني في جربة
2. الاستعدادات العثمانية لحماية جربة
3. المواجهة العسكرية في جربة ونتائجها
4. انضمام تونس للدولة العثمانية

إن الحملات الأوروبية ابتداء من 1510م/1551م على جزيرة جربة عرفت فشل ومقاومة عنيفة ضدها، مما جعلها تتراجع وتخطط لتخطيط كبير ضد العثمانيين في جربة من أجل القضاء عليهم والاستيلاء على الجزيرة بتعاون جميع القوى المسيحية من أجل معركة كبرى سنتعرف على حيثياتها وتفاصيلها، كما سنعرض مجريات الحملة التي سميت بمعركة جربة 1560م وماذا نتج عنها.

1.دوافع التدخل العثماني في جربة:

يمكن تصنيف دوافع هذه المعركة إلى دافعين مهمين الأول يخص الملك فيليب الثاني والثاني يخص قائده والعاملين تحت لوائه.

بخصوص الإمبراطور فيليب الثاني كان هناك دافعان رئيسيان، الأول شخصي ويتمثل في رغبة فيليب الثاني في استعادة ماء الوجه الذي خسره بعد انتصار العثمانيين عليه في طرابلس وتضرر هيبته الشخصية في العالم الكاثوليكي والمسيحي بصفه عامة.

أما الثاني فكان سياسيا من خلال قول المستشرق أندروهيس: "بعد سقوط الدفاعات البرية والبحرية أمام التوسع الإسلامي جمع فيليب الثاني أسطولا كبيرا بهدف إيقاف توسع الإمبراطورية الإسلامية غربا، وفي سنة 1560م سعت قوادس آل هايسبرك إلى سد الفجوات في الحدود الوسطى للبحر المتوسط عن طريق إزاحة القراصنة المسلمين من المنطقة المحيطة بجربة."[1]

أما فيما يخص قادة الملك ومن كانوا تابعين له، فالأسباب بالنسبة لهم تعود إلى الحقد الدفين لدرغوث باشا، فدوق ميدنا سبلي كان يحلم بقيادة حملة ظافرة وطاحنة ضد من أسماهم بالكفار.[2]

أما جان دولا فالين كان يرغب في أن يكون حاكما لطرابلس التي كان من المرجح أن تنتقل إلى منظمته.

إلى جانب أسباب أخرى نذكر:

- تحصين طرابلس كان ضعيفا فأرادوا استغلاله في مرحلة ضعف بالإضافة إلى انشغال درغوث باشا وحربه المفتوحة مع القيروان.

---

[1] Hess Anrew, **The moriscos on ottoman filth column in sixteenth centry spain american historical review,** 1968,p12.

[2] Monchicourt, OP.Cit p103.

- بالإضافة إلى كسب ود بعض القبائل وتلقي الدعم منهم وكان نائب ملك صقلية على اتصالات بهم وحتى من حلفاء درغوث بشهادة درغوث الذي قال أنه يتوقع الخيانة من بعض شيوخ القبائل الذين أنفسهم يتلقى منهم الدعم والتشجيع ومن غير الحكمة الاعتماد عليهم.

كل هذه الدوافع حركت وشجعت في حملة أوروبية اشتراك متنوع من الأساطيل ضد جربة.[1]التحضير النفسي للسكان وحثهم على مجابهة كل خطر يهدد كيانهم، حيث واجه درغوت مشكلة الخيانة، وانقسم الجربيون إلى قسمين: قسم بزعامة الشيخ مسعود زعيم جربة، بحيث أبدوا استعدادا للتعاون مع الجيش المسيحي، ولكن لغزو طرابلس مركز درغوث وليس لغزو جربة لأنهم يكرهون درغوث وأرادوا التخلص منه.

وقسم آخر رفض التعاون إطلاقا مع الجيش المسيحي، ولا يريدون له التمكن من احتلال جربة ولا طرابلس ولا غيرهما من الموانئ الإسلامية ،حيث حاولت درغوث نبض السكان لكي لا يقع في فرق الخيانة والخسارة وبذلك تبين له ما أراده.[2]

كذلك الأمر بالنسبة للطرف الثاني المسيحيون بحيث انقسم قادة الحملة المسيحية على أنفسهم إلى فريقين: قسم يرى غزو جربة وتخريبها وتدمير عمرانها والرحيل عنها، وقسم يرى غزوها والاستقرار بها واتخاذها قاعدة للأساطيل المسيحية لتنطلق منها الموانئ الإسلامية.

محاولة استمالة السكان من طرف المسيحيين لتشريد نفسيتهم وإيهامهم بالأمن وسلامة أنفسهم مقابل التحالف معهم مثل ما قام به نائب ملك صقلية بحيث ذهب للجربيين وحثهم عن التحالف معه ليستغلهم ضد درغوث والقوات العثمانية[3].

فعرض عليهم في مطلع شهر ماي أن يبرم معهم اتفاق تحالف يقضي أن يدعو أسطوله ويدفع له ضريبة سنويا بمبلغ ستة ألاف ايكو ذهبي وجمل وأربع نعامات وغزالات وأن يغير علم درغوث الأخضر بعلم فيليب الثاني الاسباني.[4]

---

[1] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، مرجع سابق، ص 221.

[2] نفسه، ص 224.

[3] كلو أندريه، **غازي الغزاة سليمان القانوني**، تع: محمد الزروفي، دار التركي للنشر، تونس، 1991، ص 202.

[4] كلو أندريه، مرجع سابق، ص 205.

2. الاستعدادات العثمانية لحماية جربة:

كان السلطان عثمان سليمان القانوني على علم باستعدادات القراصنة المسيحية للغزو جربة أو طرابلس منذ جوان 1559م، فلقد أحدث جواسيس وسخر لذلك بحارة بارعين وتجار لتحري أوضاع وأخبار المسيحيين حول هاته الحملة وأساطيلها وعلم بأن مسينة هي محطة تجمعهم.

كما عمل على معرفة المشاركين ففي شهر جانفي 1560م، علم بتأهب خروجها وتنوعها من إسبانيين وإيطاليين و مالطيين.

استعداد الدولة العثمانية من الناحية العسكرية بجمع المراكب والسفن القوية والتي تحتوي على ذخائر كما عمل على توفير سفن. [1]

كما عملت على جلب الجند من الجزائر وتشجيعهم على الجهاد والدفاع عن الدولة الإسلامية التي تحميهم وتحمي دينهم الذي يحاول المسيحيين القضاء عليه.

بحيث عملوا على توفير 100 مركب واستغرق في تحضير أنفسهم للحمل حوالي ستة أشهر وهناك من يتولى ثلاثة أشهر مع تأهب وترقب.[2]

أما إسطنبول فقد دعمت درغوث عن طريق التحضير للأسطول بقيادة الأميرال الأعظم بيالى باشا[3]مكون من مائتين وخمسينا مركبا وأرسلوه إلى جربة على عجل،[4] كما تذكر المصادر العثمانية بأن الباب العالي وقف معهم ومساندتهم وأرسلوا إلى الملك الحفصي بتونس ووالي رودس فرمانات يخبرهم فيها بخروج الأسطول العثماني في حالة حدوث حملة للدفاع عن طرابلس وذلك من خلال أحد أوامر السلطان الذي جاء على لسانه ما يلي:

---

[1] يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص 314-315.

[2] عبد الجليل التميمي، **رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية العربية في القرن 16 م**،المجلة التاريخية المغربية، عدد 29، 30، 1983ص 79-80.

[3] **بيالى باشا:** أحد القادة العثمانيين ومن أشهر قيودات البحر، وكان شجاعا تولى قيادة القوة العثمانية بعد وفاة سنان باشا سنة 961هـ/1553م، ينظر: كامل باشا، **تاريخ سياسي دولة علية عثمانية**، دار النفائس، بيروت، ص 106.

[4] يلماز أوزتونا، مرجع نفسه، ص 315.

"يقرر توجيه القيادة العامة للحملة التي سترسل لنجدة درغوث باشا وتسند إلى بيالى باشا وصدرت بأسماء الأمراء وطبقات الجند من جهات التي ترسل المحاربين التامي التجهيزات... وحددت لهم التواريخ والأماكن التي سيأخذون منها المراكب وأن يكتب للأمراء بذلك وينبئ بتاريخ وصول الرسائل إليهم كما وجهت أوامر سامية إليهم بهذا الشأن، وأن يتم التأكد من أنّ المرشحين للحرب مستوفون للتجهيزات وأن لا يقبل عذرا للمقصرين."[1]

تم إرسال الأسطول الأعظم بقيادة أميرال بيالى باشا ووصل إلى جربة في مدة 20 يوما وهي فترة غير عادية خلال القرن السادس عشر مما يؤكد قوة واستعداد العثمانيين للحملة.

3. المواجهة العسكرية في جربة ونتائجها

1.3. معركة جربة البحرية(966 هـ/ 1560 م)

لقد تأكدت الدول الأوروبية التي حاولت شنّ حملات على جزيرة جربة وعلى سواحل المطلة على البحر المتوسط بأنهم أصبحوا غير قادرين على مجاراة القوة العثمانية وانتصاراتها.[2]

بحيث تم أخذ قرار بمباغتة العثمانيين والهجوم عليهم في النقطة الأضعف ولقد تم اختيار طرابلس الغرب.[3]

بحيث تم تجهيز الحملة واشتركت فيها القوات اسبانيا، مالطة، جنوة، فلورنسا، صقلية، وموناكو بالإضافة إلى القوات البرية، نائب ملك صقلية ودوق ميدينا سيلي.

وكان الأسطول المسيحي يتكون من 200 سفينة حربية تحمل 30 ألفا جندي بقيادة جيوفاني أندريا دوريا.

وتولى قيادة الأسطول البابوي بقيادة فلامينو أورسيني، بحيث استغلوا الفرصة في غياب بيالى باشا وتواجده في إسطنبول وقرروا الخروج بأساطيلهم لمخادعة العثمانيين على سواحل إفريقيا العثمانية.[4]

---

[1] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق ، ص 84.

[2] ميللو منفروني، **إيطاليا بين الأحداث البحرية الطرابلسية**، تع: عمر محمد الباروني، منشورات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1985، ص 163.

[3] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص 70.

[4] نفسه، ص 83.

بحيث تزامنت تحركاتهم مع اتصالاتهم السرية مع الشيخ مسعود السمومني بخصوص تسليم جزيرة جربة للقوات الاسبانية وأقلعت الأساطيل من موانئ اسبانيا وصقلية في محاولة منها لإلحاق الهزيمة بالعثمانيين ولكن الأحوال الجوية كانت ذات سوء مما جعلهم يتعطلون عن هدفهم المخطط له.[1]

بحيث أشار المؤرخ علي رضا سيف بقوله: كان سوء الطالع وسوء الأحوال الجوية قد رافقتا الحملة منذ البداية."

فخمس مرات والأساطيل ترجع إلى موانئها بسبب الأحوال الطبيعية والرياح التي كانت كبيرة مع هذه الأحداث وصل الخبر إلى العثمانيين وسمع درغوث ما يجري وما يدبر له المسيحيين حول طرابلس الغرب.[2]

فأخذ درغوث جميع التدابير اللازمة لتحصين ولايته طرابلس الغرب وأخبر إسطنبول بهذا وأرسل العلج علي سفينة طالبا النجدة.

وبعد تحسن الأحوال خرجت الأساطيل من جديد لكن تعرضوا لعراقيل وصعوبات كبيرة بسبب شحن السفن بأعداد هائلة من الجنود مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض بينهم.

وعند وصولهم إلى طرابلس الغرب بعد أن قام لاحظوا عدم قدرتهم على حصارها، فتراجعوا نحو جربة، ووصلوا إلى مشارق جربة والسيطرة عليها واتخاذها قاعدة لمهاجمة طرابلس الغرب ولكن القوات المسيحية لم تأخذ الأمر بمحمل الجد، ولم تتوقع مهاجمة العثمانيين، وفي نفس الوقت كان قد وصل الأسطول الأعظم بقيادة بيالى باشا يضم 120 سفينة ومعه أمير جزيرة رودس والعلج علي.[3]

ولقد كان جنود القوات المسيحية كأنهم في نزهة باعتقادهم أن الحرب وضعت أوزارها نهائيا ولم يعد يفكرون في الحرب أو المواجهة سوى في كيفية الرجوع إلى وطنهم وانخفضت روح القتال لديهم أو نقول بالأحرى انعدمت.

ووقعت معركة جربة البحرية في ما بين 4و9 ماي إلى غاية 28 و29 جويلية 1560 م بحيث كانت أكبر المعارك البحرية في التاريخ العالمي جرت في البحار المفتوحة في تلك الحقبة.

---

[1] كلو أندريه، مرجع سابق، ص 203-205.

[2] جودت باشا، **كتاب تاريخ جودت باشا**، دار الطبع مطبعة جردية، بيروت، 1308، ص 158.

[3] B Maudel Fernand, **The medetiranean and the medetiranean world in the age of Philip II**, vols translated from the french by sian Regnelds, london, 1974, p978.

بحيث تقدم الأسطول العثماني باتجاه الأساطيل المتحالفة وبشر بإطلاق النار من مدافعه المشهورة، وتمكنوا من تدمير العديد من سفن العدو في اليونان، مما أدى إلى تفريق العدو وتفرقتهم إلى شطرين، وبذلك تمكنت بعض السفن العثمانية من الجهة اليمنى الوصول إلى جزيرة جربة، في حين تابع النصف الآخر مطاردة سفن العدو في عرض البحر متبعين في ذلك خطة خير الدين باشا التي استخدمت في معركة 1583م، بحيث تنقسم العثمانيين على عرض البحر ضد القوات المسيحية كالتالي: تمركز العلج علي و مأمون رايس في الجهة الغربية وتمركز درغوث باشا ودالي جعفر من الجهة الشرقية وتولى بيالى مطاردة الأعداء حتى استولى منهم على 27 قاليونا(نوع من السفن) فألحق الأسطول العثماني الهزيمة بالقوات المتحاربة وخلال ساعات عديدة.[1]

وفي يوم 6 جوان صوب الأتراك 18 مدفعا على القلعة الإسبانية المحاصرة بحصون سيردا الذي كلف بيالى بمهاجمته وحصن قوتراق درغوث وحصن سان جان العلج علي.

وكان بيالي قد وجه رسالة إلى الإسبان المحاصرين بتسليم أنفسهم[2] بدون استعمال العنف، ولكن دوق ألب أعاد إليه رسالته دون أن يقرأها وعندئذ عزم بيالي على مواصلة الحصار برا وبحرا حتى يستسلموا، ولكن درغوث خالفه في الرأي وتحمس كثيرا لاستعمال العنف وتصفية هؤلاء المحاصرين بكل سرعة قبل أن تتطور الأمور في ليلة 28 و29 جويلية، حاول بعض الإسبان أن يخرجوا من الحصن بتشجيع من دون ألفار قائد المحاصرين فتعقبهم الأتراك واعتقلوهم، ولم يحد الحماس دون ألفار للمقاومة لأن أغلبية الجنود مالوا إلى فكره الاستسلام حتى ينقذ حياتهم من الأخطار المحيطة بهم ومن العطش الشديد والقاتل.

وفي يوم 30 جويلية أعلنوا الاستسلام والانتصار العثمانيين والقضاء على الحامية الإسبانية، ولقد يروي الكثير من المؤرخين عن القتلى الذين قتلوا بها بحيث شكلت برؤوسهم برجا سمي ببرج الرؤوس ويذكرون أن درغوث قلد في هذا العمل السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أسس برجا من 2500 رأس مسيحي بالمجر.[3]

---

[1] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، مرجع سابق، ص 228.

[2] Braudel,OPCIT,p986

[3] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق ، ص 84-86.

وانتشرت الأخبار بتدمير الأسطول المسيحي إلى أنحاء أوروبا كافة، وحملت السفن الناجية في الثامن عشر أوت من سنة 1560م الأخبار السيئة مع كثير من التفاصيل المرعبة أثناء الحرب.[1]

وكان من بين المحظوظين الذين استطاعوا الفرار أندريا دوريا آمر الأسطول ونائب الملك في صقلية وبعض رفقائه.

وفي الأول من تشرين الأول 1560م دخل بيالي باشا إلى إسطنبول دخول العظماء المنتصرين على سفينة ذات راية خضراء متبوعا بخمسة عشر سفينة مطلية باللون الأحمر الفاتح في جو بهيج بحيث تم إطلاق البارود وتعالي الهتافات وسط ضرب الطبول وقرع الصنوج.

ولقد ذكر فرناند براودن قائلا:

"لقد كسب المسلمون الهيمنة على وسط البحر المتوسط، وأصبحت طرابلس تحت العثمانيين أكثر من أي وقت مضى أما العالم المسيحي فقد كان في كرب، إذ كان من الصعب ترك الأرماد طليقة في شواطئ إيطاليا ناهيك عن الحملات التي يمكن أن تشنها خلال فصول الصيف.."[2]

أما المؤرخ الانجليزي اللورد كنروس فيقول:كانت درجة الهزيمة كارثة على العالم المسيحي أكثر مما كانت عليه في أي مكان في تلك المياه منذ فشل الإمبراطور شارل الخامس في الاستيلاء على الجزائر..."[3]

2.3.نتائج معركة جربة:

ولقد كان للانتصار العثماني في جربة نتائج مهم, يمكن تحديدها في النقاط التالية:

- أعطى هذا الانتصار الشجاعة والدفع للعثمانيين على القيام بالمزيد من الحملات باستعادة موانئ القريبة، وأصبحت السيطرة على طرابلس أكثر قوة وتأكيد من أي وقت مضى خاصة الجزء الجنوبي للبحر المتوسط تحت سيطرة العثمانيين.[4]

---

[1] Braudel,OPCIT,p985

[2] Braudel, OPCIT, P985.

[3] Kinross Lord, **The ottman centuries the rise and fall of the turkish empire,** new york, 1977, p262.

[4] كلو أندريه، مرجع سابق، ص 206.

- الاستيلاء على جربة مكن تونس بأن تصبح محصورة بين ممتلكات العثمانيين في الجزائر وطرابلس وكأنها بين طرفي فخ ولم يتبقى للإسبان وحلفائهم الحفصيين سوى قلعة حلق الوادي.[1]
- كان الانتصار العثماني في جربة في دفع العلم المسيحي إلى توجيه أنظاره نحو البندقية، فخلال الكارثة كانت البندقية وحدها هي التي بمقدورها مساعدة القوى المسيحية في استعادة السيطرة على البحر، ففي روما تجددت فكرة العصبة التي شكلها البنادقة ضد العثمانيين.
- تأكد الولايات المغربية بارتباطها بالدولة العثمانية وتحت حمايتها من حيث أسهمت حملة جربة في تقديم الضمانات العملية للأهالي والمسؤولين بسرعة اتجاهاتهم، إذ جوبهوا بأي خطر خارجي.[2]
- أكد الانتصار العثماني في جربة على الترابط والتأثير العثمانيين للجنوب والساحل التونسي تحت لواء باشا وزاد في الوقت نفسه من قوة القطعات البحرية لدرغوث وحسن باشا والي الجزائر، إذ منح هذا الأخير 10 بواخر هي الأكبر حجما من مجموع ما تم الاستيلاء عليه.
- يشير هذا الانتصار العثماني إلى جانب أهميته الدولية إلى إخفاق القوى المتحالفة وخاصة اسبانيا على جربة لاسيما أن الهزيمة التي ألحقت به قد تبعت بعد مدة وجيزة في 31 جويلية 1560م بالاستسلام الحامية الاسبانية التي بقيت في الجزيرة في البرج الكبير.[3]
- تحرك القباطنة العثمانيين والبحارة بحرية تامة وسيطرتهم على شمال إفريقيا باستثناء وهران وأصبحوا يقطعون نحو سواحل المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق الاسبانية القادمة من العالم الجديد.
- أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانية.[4]

بالإضافة إلى النتائج التي أحصيناها لا يمكن المرور على الخسائر المادية التي انجرت عن المعركة بين الطرفين والتي نجمت عنها خسائر بشرية ومادية لكلا طرفين، لكن قبل الطرف الثاني أي

---

[1] يلماز أوزنوتا، مرجع سابق، ص 319.

[2] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص86-87.

[3] نجم الدين عبد الستار، **البحرية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني(1520/1560م)-دراسة تاريخية-**، كلية التربية، جامعة كريت، 2009، ص 104-105.

[4] الزبدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثمانية(1516/1946م)**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003، ص 230.

القوات المتحالفة أكثر، بحيث خسر الأسطول المسيحي ما يتراوح بين 30و32 قطعة بحرية وقتل في المعركة قائد الأسطول البابوي اورسيني فضلا عن 18 ألفا جندي.[1]

أما الخسائر العثمانية فتمثلت في أقل من 10000 شهيد، وغرق بعض السفن العثمانية وكسب غنائم حوالي 33 سفينة كغنائم حرب ناهيك عن الأسرى والذخيرة والسفن والقوارب المزودة وغيرها.

4. انضمام تونس للدولة العثمانية:

1.4. معركة ليبانت 1571م:

كانت تونس خلال سنة 1569م تحت سلطة الحفصيين الذين كانوا خاضعين للإسبان فبعد الانتصار الذي حقق في جربة 1560م، بحيث أمل الشعب في العثمانيين لتخليصهم من الاسبانيين وضرائبهم التي أنهكت كاهلهم.

فراحوا يطالبون ويطلبون المساعدة خاصة من العلج علي ليفك أمرهم من الحفصيين وسلطانهم الذي كان متفقا مع الاسبان ومسيطرين ومتمركزين هم وقوتهم في حلق الوادي، بحيث أصبح السكان يتطلعون لإنقاذهم من الواجهة الصعبة التي أصبح فيها فطلبوا النجدة من العلج علي لتخليصهم من الاسبان والسلطان ابن حميدة وبطشه.[2]

فجهز جيشا يقارب 7000 مقاتل، وزحف نحو تونس وجرت معركة مع الجيش الحفصي بقيادة أحمد الحفصي، وكان النصر للعثمانيين وساعد سكان وأهالي تونس العلج العلي[3] في قيامه بهذا الانتصار وإلحاقها بالدولة العثمانية، وترك جماعة محاصرة لحلق الوادي لأنها لم تكن مستقلة كانت مستعمرة من قبل الاسبان، وعاد إلى الجزائر بأمر من السلطان العثماني سليم الأول،[4] مما جعل اسبانيا تشعر بخطر التهديد على أبرز قواعدها البحرية في غرب المتوسط.

---

[1] Monchicourt, IBID, P342-343.

[2] مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 106.

[3] **علج علي:** بحار عثماني ولد في كلا برياجو حوالي 1500 م، وقع اسيرا في السفن الجزائرية، واعتنق الديانة الإسلامية وعيّن بايلربايا على الجزائر، 1568.ينظر باربروس خير الدين مصدر سابق ،ص55.

[4] ناصر سعيدوني، مرجع سابق، ص ص368.

مما جعل الأوروبيين يتحالفون في روما وعقد مجلس حربي بشأن ذلك، وتوصل لفكرة مهاجمة الأسطول العثماني.

ولقد كان الأسطول العثماني منهكا خاصة بعد معركة مالطة وقبرص، وتم إحداث التغيير وتم تعيين علي باشا[1] قائدا جديدا للأسطول خلفا لبيالى باشا مما يوحي بإحداث معركة كبيرة بين الطرفين.[2]

بحيث في يوم 7 /10/ 1571م وقعت المعركة وسميت بمعركة ليبانت، وصارت مناوشات نارية ضخمة وكان الجانب المسيحي بقيادة دوق جوان أكثر استعدادا للمعركة من الجانب العثماني بقيادة علي باشا، وكانت المعركة كبيرة على الجانب العثماني، بحيث أصبح مكان المعركة في البحر المتوسط لونه أحمر بحيث دمر جل الأسطول العثماني ما عدا أسطول العلج علي بحيث معركة ليبانت[3] انتقاما من العثمانيين خاصة معركة جربة التي اعتبرت نكسة للمسيحيين وبابواتها.[4]

وتعرضت الدولة العثمانية إلى هزيمة من طرف الاسبان والخيانة من طرف الجنود والمكيدة التي دبرت من طرف الاسبان، مما نتج عنه انتصار الحلفاء واحتلال تونس وتخريب الأسطول العثماني،[5]واستولوا على تونس من جديد بقيادة شقيق ملك اسبانيا دان جوان النمساوي في صائفة 1573م وأقام فيها حكما مشتركا اسبانيا–حفصيا.

---

[1] **علي باشا:** قائد الأسطول العثماني في عهد السلطان سليم الثاني، قتل في معركة ليبانت 1571م.ينظر حليم إبراهيم ،مرجع سابق ،ص102

[2] عبد الجليل التميمي، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية، تونس، 1989، ص 22–28.

[3] **ليبانت:** تعرف عند الأتراك باسم"**بنختي**" وهي مدينة تقع شمال المضيف الذي يمتد من البحر لأيوني إلى خليج كورنيس، واصبح يعرف بخليج ليبانت في العصور الحديثة.

[4] زهراء النظام، **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط**، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009، ص 108–109.

[5] عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج2، ط1، شركة فاس، القاهرة، 2006، ص 268.

ودامت تلك الوضعية الشاذة في نظر المسلمين في ذلك العصر 10 أشهر ولكن الدولة العثمانية كانت على قدم وساق للرد على الاسبانيين واسترجاع تونس لتظهر لهم مدى قوتها وتردع الكافرين.[1]

فقام سليم الثاني بأوامر بحيث كلفت العلج علي بتجهيز الأسطول وإعادة تهيئته، بحيث حتى الدول الأوروبية أدركت خطورة الأسطول المهيء لذلك حاول البابا بحيث تم العرض عليه لتسليمه مناصب كبيرة في اسبانيا وصقلية لكن ذلك لم يزد العلج علي إلا تصميما.[2]

2.4. معركة حلق الوادي وفتح تونس:

وفي 23 محرم من سنة 981هـ الموافق لـ 1574م أبحر الأسطول العثماني من إسطنبول يقوده العلج علي، ويقود القوات البرية الوزير سنان باشا، وكان يضم 238 سفينة، وفي طريقهم إلى ذلك هاجم سواحل إيطاليا في كالابريا لأنها تابعة للدولة الاسبانية.[3]

ووصل الأسطول العثماني إلى خليج تونس في 24 ربيع الأول982 هـ/ 1574 م، وتم انضمام الفرق المصرية لذلك وتم فرض الحصار على ميناء حلق الوادي(**انظر الملحق رقم 10**)، وبعد ذلك انضمت أساطيل من الجزائر بقيادة رمضان باشا، ومن طرابلس بقيادة مصطفى باشا وجرت مناوشات، وفر خلالها الملك الحفصي محمد بن الحسن إلى قلعة حلق الوادي، وتم متابعة المطاردين وكانت مددجة بحوالي 7000 مقاتل من الاسبان وأنصار السلطان الحفصي والمدافع وغيرها ما يكفي لمدة أشهر رغم حصار العثمانيين لها مثل إرسال علج علي لتقييم الوضع هناك ونقل لهم العلج عن كمية الذخيرة والمدافع المحاطة بالحسن وأن اقتحام حلق الوادي يتطلب وجهد وحصار طويل.[4]

وحاصروا المنطقة تدريجيا وتقدم شيئا فشيئا وقاموا بغلق الصور الذي به خندق وتراب وحاول الاسبان الهروب من الباب الغربي لكي تفاجئ العثمانيين، ولكن سنان باش كان متفطنا فأوقع بهم ودخلوا

---

[1] محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 66.

[2] محمد مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 108-109.

[3] ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تح: لجنة من وزارة الثقافة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 23-40.

[4] عزيز التر سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ص 254.

باب القلعة وغنموا من غنائم كالذّخائر،[1] وأسروا القائد الاسبانية ومحمد حفص تم فتح قلعه تونس البستيون وأسر القائد الاسباني من طرف سنان باشا دون بيدرو بورتاكاريرو[2].

وبسقوط الحصن تحقق الانتصار العثماني على اسبانيا، وانتهى بذلك العهد الحفصي وأصبح القطر التونسي بعد 982 هـ/1574 م ولاية عثمانية ينظم شؤونها المكلف عليه من قبل السلطان العثماني ولقد جاء ذلك على لسان ابن الدينار بقوله في هذا الصدد:" وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم وناوشوها بالقتال من كل جهاتها."[3]

خلاصة الفصل:

لقد سهل العثمانيين على سكان جربة التخلص من الأخطار الخارجية التي كانت تهددهم وتهدد كيانهم من خلال معركة جربة 1560م التي سحقت القوى المسيحية سحقا، وأذاقته مرارة الفشل من خلال قوة الأسطول العثماني وبراعته البحرية، خاصة بعد أن تم اجتياح الأسطول المسيحي بحيث حققوا نصرا عظيما في تاريخ البحرية.

لكن المسيحيين لم يسكتوا على هذه الهزيمة وراحوا يخططون لمكيدة للإطاحة بدرغوث وممن ألحق بهم الهزيمة في معركة جربة، ومما جعل الأسطول العثماني يتحطم في معركة ليبانت ولكن تلك الخسارة بالنسبة لهم لم تزدهم إلا قوة من أجل تخليص تونس نهائيا من الاسبان بعد استحواذ العثمانيين على جربة، وكان لهم ما أرادوا بعد معركة حلق الوادي التي تم طرد الاسبان نهائيا والأوروبيين والمسيحيين من المغرب العربي ودخول تونس تحت اللواء العثماني ابتداء من 1574 م ليكون عصر النفوذ والقوة والهيمنة للعثمانيين.

---

[1] فارس محمد خير، **تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**، منشورات جامعة دمشق، 1981-1982، ص 426-430.

[2] إلهام يوسف، **الصراع الاسباني العثماني على تونس(1534/1584م)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد5، 2018، ص 412.

[3] ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية**، مرجع سابق، ص 176-177.

الخاتمة

الخاتمة:

يتركز موضوع هذه الدراسة الموسومة بالتحركات العثمانية والتحرشات الأوروبية على جزر المتوسط في القرن16 م(جزيرة جربة التونسية أنموذجا)، وبعد الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج المتمثلة في الإجابة عن الإشكالية التي تم طرحها في المقدمة وتلخصها فيما يلي:

– تميز البحر المتوسط بأهمية كبيرة والامتداد واسع بين قارات العالم مما جعله يستحوذ على أهم الجزر منها مالطة وقبرص وسردينيا التي جعلت منه مركز صراع وحروب من أجل هذه المواقع الاستراتيجية المهمة في جزر ومدن و له أهمية اقتصادية كونه مركز محطات والمعبر الأسهل والأسرع للسفن التجارية.

– إطلالة المغرب العربي على السواحل المتوسطية للبحر الأبيض جعلتهم يتعرضون لحملات أوروبية من أهم أسبابها العوامل الدينية خاصة والعوامل الاقتصادية والسياسية منها التحرش الإسباني بها على المرسى الكبير ابتداء من 1505 م وتوسع نفوذ الاحتلال الإسباني وتوغله داخل المدن مثل احتلال بجاية وجيجل و لقد تتطور الاحتلال وتوغل في مدن المغرب العربي منها طرابلس الغرب سنة 1510 م والسيطرة على القسم الشرقي.

– ظهور الاحتلال الإسباني من طرف شارلكان وحملته على تونس بسبب التنافس من أجل السيطرة على أهم موقع بحري وهو جزيرة جربة.

– ظهور البحرية العثمانية بعد استنجاد الجزائريين بها من طرف سكانها والدور الذي لعبته في حماية وتحصيل دويلات المغرب العربي وتكاثف جهود العثمانيين في حماية وتحصين الدويلات التي تعرضت للاحتلال واهتمامهم بها لعدة اعتبارات فسكان هذا الجزء هم إخوان في الدين ومنطقة الشمال الإفريقي الذي يمتد من تونس إلى المغرب الأقصى.

– ولقد كانت تعتبر تونس أول نقطة اتصال ونزول للعنصر التركي حينما مكنهم السلطان الحفصي من جزيرة جربة الأمر الذي جعل جزيرة جربة تشهد حملات أوروبية وذلك بسبب :

– احتوت جزيرة جربة على عدة تحصينات ودفاعات لتأمين نفسها من الهجمات والأخطار الخارجية منها البرج الكبير وبرج العقرب وحصن القشتيل كونها كانت تتميز بأهمية استراتيجية وتعتبر جسرا بحريا وبريا يربط بين البحر المتوسط والدول الأخرى خاصة أوروبا البيضاء.

الخاتمة:

– شهدت جزيرة جربة منذ سنة 1510 م بداية الحملات الأوروبية على أراضيها أولها حملت بيدرو نافارو سنة 1510م والتي باءت بالفشل بعد مواجهات طاحنة ودامية بين الطرفين.

– الهجوم المسيحي على جربة عام 1520م والثأر الذي أراد المسيحيين رده بعد هزيمة 1510 م وتجهيز حملة عسكرية كبرى، ولكنها باءت بالفشل مره أخرى بسبب تكاثف جهود الجربيين والعثمانيين في ذلك في وقف الهجوم.

– وقوع أكبر معركة بحرية بين الأوروبيين والعثمانيين في جربة سنة 1560 م التي كانت قد استعدت لها الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني من تعداد عسكري بحري وعدة وجنود وجيوش وسفن.

– انقلاب المقلب والحيلة الأوروبية ضد الدولة الأوروبية التي كانت تخطط لإيقاع العثمانيين والسيطرة على أهل المناطق التي تحميهم خاصة طرابلس الغرب التي خططت لها وكانت الأحوال الجوية عكس ذلك مما جعل الأحداث تأخذ مجرى آخرا وانقلاب في الموازين والخطط الحربية.

– وقوف الدولة العثمانية وبرهنة وجودها من خلال إرساء أسطول بقيادة بيالي باشا ووصوله إلى جربة في مدة 20 يوما، مما يدل ويؤكد على القوة والاستعداد العثماني لأي خطر خارجي من طرف الغرب المسيحي والدول الأوروبية التي عزمت على افتكاك جربة التي تفتح لهم الطريق لاستعمار شمال إفريقيا ككل وكان يوم 30 جويلية 1560هو يوم إعلان الانتصار العثماني العظيم والقضاء على الحامية الإسبانية التي نجم عنها مجزرة لدرجة بناء برج برؤوس الأموات والجند المسيحيين والأوروبيين.

– ضمان وثقة دويلات المغرب العربي بقوة الدولة العثمانية وحمايتها من الأخطار الأمر الذي جعلها تنضم لها، وكانت معركة جربة المرحلة التي أدت إلى انضمام تونس وفتحها بعد معركة ليبانت وحلق الوادي وتحريره من طرف الاسبان بقيادة العلج العلي وإعلان تونس تحت الخلافة العثمانية سنة 1574 م وبذلك أصبح البحر المتوسط بحيرة عثمانية وأصبحح العثمانيون يسيطرون على الجزء الجنوبي للبحر المتوسط مما جعلها قوة بحرية عظيمة.

– وفي الأخير نكون قد توصلنا إلى الإجابة عن إشكاليتنا بحيث ساهمت التحركات العثمانية في سد الحملات الأوروبية خلال القرن 16م وحماية سواحل المغرب العربي كما لعب دورا هاما في حماية جربة والدور البارز الذي لعبته التجارة والقباطنة العثمانيين في إفشال تلك الحملات وتحرير جربة نهائيا الأمر الذي نتج عنه فتح تونس سنة 1574 م .

الملاحق

الملحق رقم(01): خريطة حوض البحر المتوسط[1]

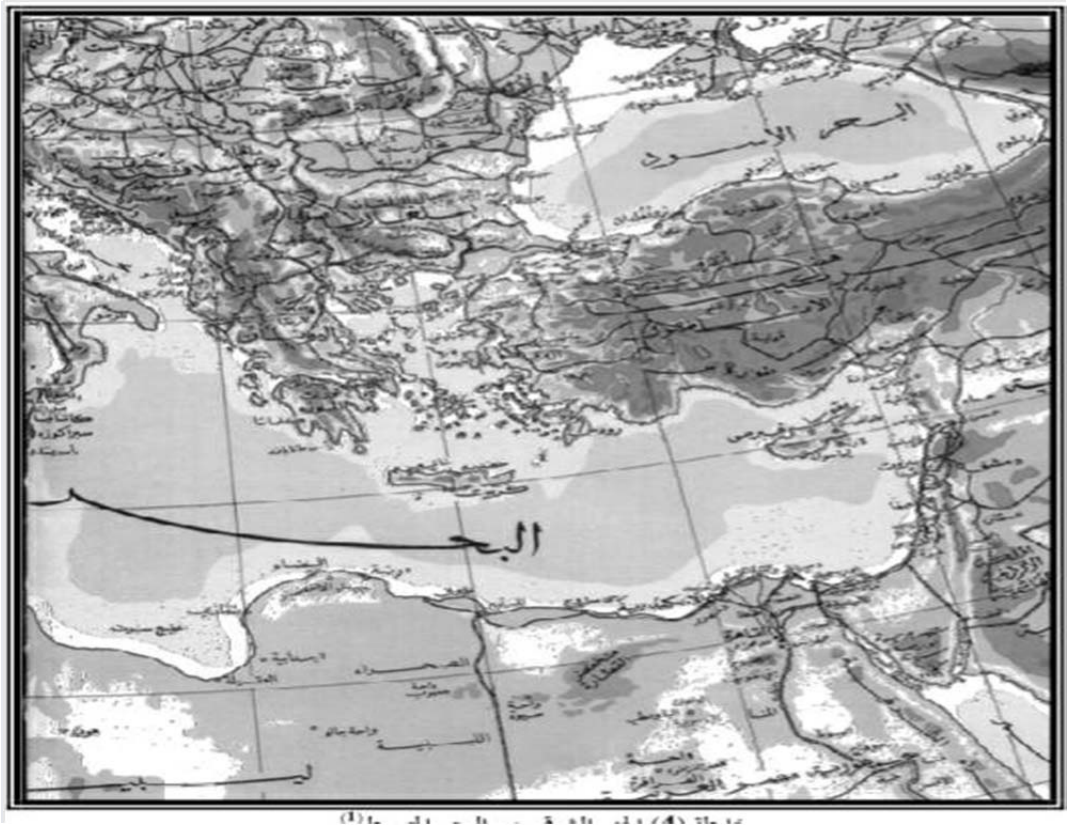

[1] هوط وآخرون، **أطلس العالم**، منشورات مكتبة بيروت، لبنان، د.ت، ص 56.

الملحق رقم 2: خريطة توضح مناطق الصراع والتحركات العثمانية والحملات الأوربية في جزر البحر المتوسط خلال القرن [1]

[1] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، 1987، ص 349.

ملحق رقم 3: خريطة توضح تونس وسواحلها

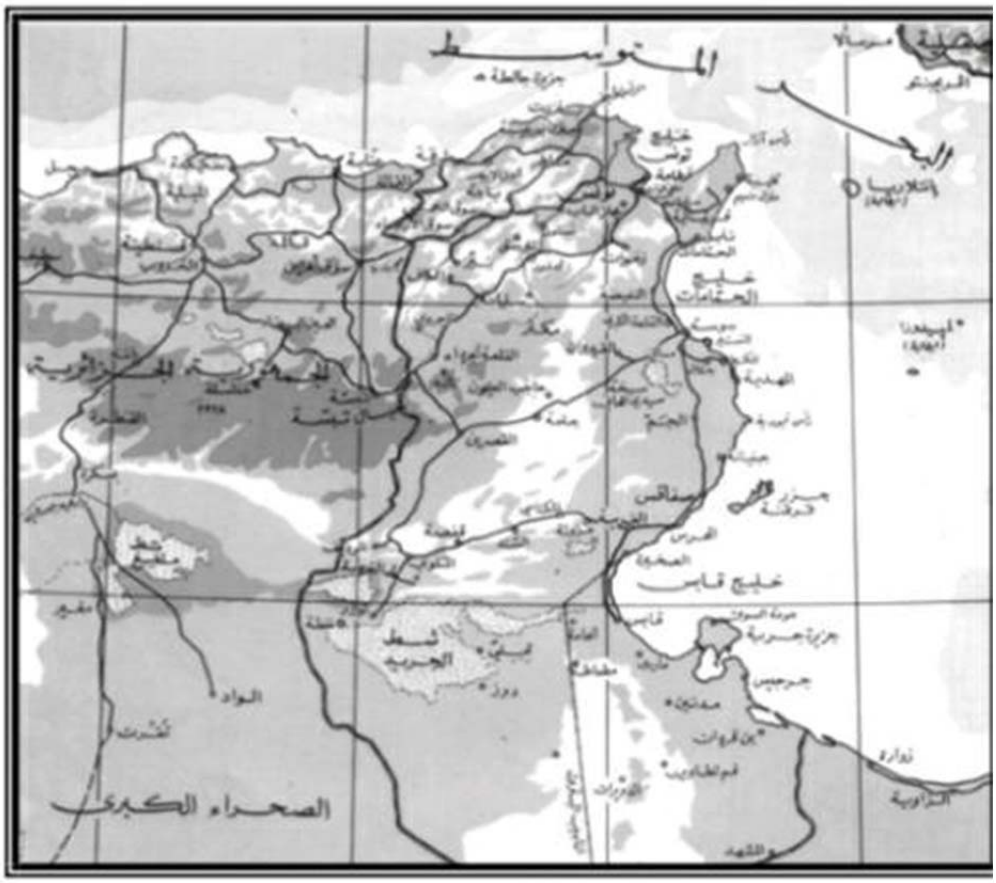

الملحق رقم 4: خريطة جزيرة جربة[1]

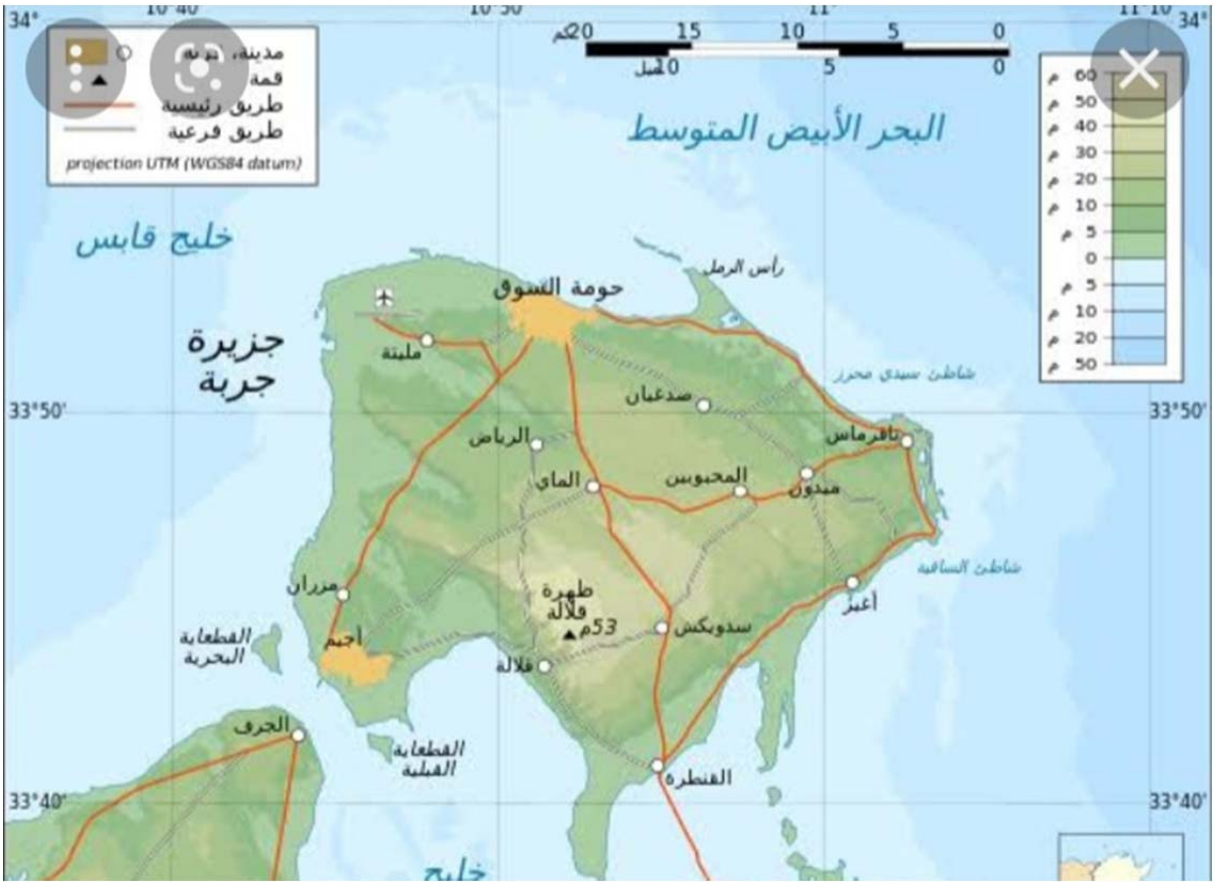

[1] يوسف بن أحمد الباروني، مرجع سابق، ص 4

ملحق رقم 5 :صورة البرج الكبير أو برج الغازي مصطفى[1]

[1] الباروني، مرجع سابق، ص 56.

ملحق رقم 6: صورة توضح أحد تحصينات جزيرة جربة برج القشتيل[1]

[1] الباروني، مرجع سابق، ص 36

ملحق رقم 7 : صورة برج العقرب[1]

[1] الباروني، مرجع سابق، ص 85.

ملحق رقم 08 :صورة درغوث أحد البحارة الذين لعبوا دور كبيرا في تحرير جربة[1]

[1] الموسوعة التونسية المفتوحة الإلكترونية، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون بيت الحكمة للنش، 2013، ص01

2- ملحق الصور

ملحق رقم 9: صورة لإحدى السفن المستعملة في جزيرة جربة عام 1560 م[1]

[1] أحمد علي محمود فهمي، **التنظيم الحربي الإسلامي في شرق المتوسط من القرن 17**، تر: قاسم عبده قاسم، دار ريدة للنشر، بيروت، 1980، ص 195.

ملحق رقم 10: صورة لحلق الوادي ومعركة فتح تونس 1574 م[1]

[1] ويكيبيديا

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية:

1.ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869.

2.ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تح: لجنة من وزارة الثقافة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

3.أبو محمد عبد الله بن عبد الله، **رحالة التجاني**، تق: حسن حسني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

4.بربروس خير الدين ، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010.

5.بن خوجة محمد ، **صفحات من تاريخ تونس**، تق، تح: حمادي الساحلي الجيلالي، بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

6.ابن ميمون الجزائري محمد ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7.جودت باشا، **كتاب تاريخ جودت باشا**، دار الطبع مطبعة جردية، بيروت، 1308.

8.الحموي الياقوت ، **معجم البلدان**، مج2، دار صادر للنشر، بيروت، 1977.

9.خوجة حمدان ، **المرآة**، تق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.س.

10. الزهار أحمد الشريف ، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

11. الزيدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثمانية(1516/1946م)**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003.

12. شالر وليام، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816/1824م**، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

13. الوزان حسن، **وصف أفريقيا**، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1963.

المصادر الأجنبية:

14. Mounchicourt : **La tunisie et l'europe**, document aux xvi.xvii.et xviii siècles, r.t, 1905.

15. Braudel Fernand, **The medetiranean and the medetiranean world in the age of Philip II,** vols translated from the french by sian Regnelds, london, 1974.

16. Garrot Henri, **Histoire général de l'Algérie,** impr crescenzocollection, paris, 1910.

17. Hess Anrew, **The moriscos on ottoman filth column in sixteenth centry spain american historical review,** 1968.

18. Kinross Lord, **The ottman centuries the rise and fall of the turkish empire,** new york, 1977.

ثانيا : المراجع

1. ابن غلبون، **تاريخ طرابلس الغرب**، تع: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

2. ابن يعقوب سالم، **تاريخ جربة وعلمائها الإباضيين**، د.د.ن، د.ب، 2009.

أحمد شرغيل، **سلطة بنفوذ عثماني**، تر: مهتاب محمد، ج2، ط1، در الثقافة للنشر، الإمارات، 2016.

3. الأنصاري أحمد النائب ، **المنهل العطب في تاريخ طرابلس الغرب**، د.ط، مكتبة الفرجاني، د.س، طرابلس، ليبيا، ج1.

4. الأيوبي الهيثم مقدم ، **موضوع التحصينات**، ج1، ط1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1977.

5. الباروني عمر ، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، د.و.ن، 2001.

6. برتشفيك روبار ، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، تر: حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

7. بوحوش عمار ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

8. بوعزيز يحي ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

9. التلبيسي خليفة محمد ، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، ط3، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1997.

10. توفيق أحمد المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492/1742م)**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

11. جون جوليوس نورويش، **الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثله بحر**، تر: طلعت الشايب، ط1، دار المركز القومي للنشر، 2015.

12. الجوهري يسري ، **جغرافية البحر المتوسط**، د.ط، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، 1984.

13. الجيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1989.

14. حسون علي ، **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، ط3، منشورات المكتب الإسلامي، لبنان، 1994.

15. الحسيني محمد بن عشر ، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، مطبوعات دار المغرب للترجمة والنشر، الرباط، 1977.

16. روبيرت مانتران ، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للنشر، مصر، 1993.

17. روسي ايتوري ، **طرابلس الغرب تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، تر: خليفة محمد التليسي، ط1، مؤسسة الثقافة الليبية للنشر، ليبيا، 1969.

18. الزبيري محمد العربي ، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1985.

19. سالم عصام ، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي بجزر الباليار)**، ط1، دار العالم للملايين للنشر، بيروت، 1914.

20. سامح التر عزيز ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989.

21. سعدي عثمان ، **الجزائر في التاريخ**، دار لامة، الجزائر، 2013.

22. شارل أنجري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب) من الفتح الإسلامي إلى 1830م**، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، مؤسسة تاولت للنشر، 2011.

23. الشناوي عبد العزيز محمد ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ج2.

24. الشيخ سالم بن يعقوب، **تاريخ جزيرة جربة**، دار الجويني للنشر، القاهرة، 1986.

25. علو عماد ، **الاستراتيجية البحرية الإسلامية في البحر المتوسط**، د.ط، دار المكتب العربي للمعارف، بيروت، 2019.

26. فارس محمد خير، **تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**، منشورات جامعة دمشق، 1981-1982.

27. فريدون أمجاد ، **سليمان القانوني سلطان البريين والبحريين**، دار النيل للنشر، 2014.

28. قنان جمال ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1987.

29. فهمي أحمد علي محمود ، **التنظيم الحربي الإسلامي في شرق المتوسط من القرن 17**، تر: قاسم عبده قاسم، دار ريدة للنشر، بيروت، 1980.

30. فيرو شارل ، **تاريخ جيجلي**، تح: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010.

31. الفيلالي عبد الكريم ، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج2، ط1، شركة فاس، القاهرة، 2006.

32. كلو أندريه، **غازي الغزاة سليمان القانوني**، تع: محمد الزروفي، دار التركي للنشر، تونس، 1991.

33. لونيسي رابح ، **محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2013.

34. محمد رفعت بك، **التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، دار الملتزمة للنشر، مصر، 1951.

35. منفروني ڤيللو ، **إيطاليا بين الأحداث البحرية الطرابلسية**، تع: عمر محمد الباروني، منشورات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1985.

36. الميلي مبارك ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

37. الهادي محمد الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح: محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

38. الوذيناني خلف ، **الفتح العثماني لجزيرة رودس**، جامعة أم القرى، السعودية، 1997 م.

39. يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988.

ثالثا : مقالات:

19. بلقاسم كريم ، **مساجد جربة التونسية**، جريدة الشرق الأوسط، العدد 10893، د.ن.

20. التميمي عبد الجليل ، **رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية العربية في القرن 16 م**،المجلة التاريخية المغربية، عدد 29، 30، 1983.

21. زهراء النظام، **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط**، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009.

22. الشافعي درويش ، **الحملة الاسبانية على تونس في سنة 1535**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة غرداية، الجزائر، 2017.

23. الشيخ بن أحمد الجيلالي الجربي، محمد المريمي، **المعرفة التاريخية والدولة لدى مؤرخي الأطراف في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**، ندوة اسطور، العدد 7، يناير 2008.

24. عشقي أنور ، **الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس الجديدة**،جريدة الأهرام، العدد 4834، 2018.

25. يوسف إلهام ، **الصراع الاسباني العثماني على تونس(1534/1584م)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد5، 2018.

رابعا : دراسات ومذكرات:

26. سحابات زهيرة، **الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني(1628-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سيدي بلعباس، الجزائر، 2020/2019.

27. طيبي المهدية، **محاضرات مقياس تاريخ المغرب الحديث**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الثقانية ليسانس، جامعة المسيلة، 2018.

28. عبد الستار نجم الدين ، **البحرية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني(1520/1560م)-دراسة تاريخية-**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة كريت، 2009.

خامسا: معاجم وأطالس وموسوعات:

29. إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة للنشر، تركيا، المجلد1، 1985.

30. أطلس العالم الكبير، مسجل في وزارة الاقتصاد والتجارة، لبنان، 1999.

31. حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، 1987.

32. زامارو ادواردوفون، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1962.

الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج5، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1994.

قائمة الفهارس

قائمة الفهارس:

فهرس الأعلام:

الأعلام	الصفحة
إسحاق	28
أبي حفص	34
السمومني	41، 42، 43
أبو زكريا	41
أندري دوريا	44، 45، 57
بيدرو نافارو	22، 42
بكّار	45
بيالى باشا	55، 56، 57
عروج	25، 26، 27
علج علي	61، 62
عمرو عثمان	34
خير الدين	26، 27، 28
سليم التومي	22
سليمان الأول	28، 61
سليمان القانوني	53
فلامينو أورسي	55
فيليب الثاني	51
هوميروس	36
دون فارسي	41، 42
درغوث	41، 45، 48، 51، 52، 53، 58
حسن قورصو	43، 44
شارلكان	44
مصطفى باشا	62
مراد آغا	28

قائمة الفهارس:

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
أوروربا	15
إفريقيا	15، 19، 26
آسيا	25
اسبانيا	15، 20، 22، 23، 27، 28، 40، 41، 43، 44، 56، 58
إيطاليا	20، 62، 63
البليار	17
إنجلترا	17
اسنطبول	53، 54، 55
المغرب	22، 23
الجزائر	19، 20، 21، 25، 26، 28، 61
أصيلا	24
أزمور	24
البرتغال	23
الأندلس	1، 22
بجاية	21
مرسيليا	17
فرنسا	17
سردينا	17
صقلية	18، 29، 44، 61
قناة السويس	15
قشتالة	23
مالطة	18
مستغانم	22
طرابلس	30، 40، 41، 53، 55
كورسيكا	17
رودس	16

قائمة الفهارس:

جبل طارق	15
جربة	15، 96، 37، 38، 39، 40، 42، 52، 53، 54، 55، 56، 59، 60، 62

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	/
شكر وعرفان	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	2
الفصل الأول: بداية الصراع بين الدولة العثمانية و الدول الأوروبية ورهاناته في حوض المتوسط في القرن 16م	
تمهيد	6
1. البحر المتوسط وأهم مكوناته الجغرافية	7
2. أهمية حوض المتوسط الاستراتيجية للضفتين	10
3. التحرشات الأوروبية على المتوسط وجزره وسواحله الجنوبية في القرن 16 م	11
4. التحركات العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط	16
خلاصة الفصل	21
الفصل الثاني: جزيرة جربة: الخلفية التاريخية والجغرافية العسكرية	
تمهيد	24
1. جزيرة جربة في أواخر العهد الحفصي	25
2. جزيرة جربة والخصوصية التاريخية و الجغرافية	26
1.2. التسمية	26
2.2. الموقع والسكان	26
3.2. التحصينات	28
3. الأهمية الاستراتيجية	28
4. الحملات الأوروبية على جربة ما بين 1510م-1551	31
1.3. الحملة المسيحية عام 1510 م	31
2.3. الحملة المسيحية على جربة عام 1520م	33

3.3. الحملة المسيحية على جربة عام 1551 م	33
خلاصة الفصل	37
الفصل الثالث: جربة في مواجهة الأوروبيين و الاستعانة بالعثمانيين	
تمهيد	40
1. دوافع التدخل العثماني في جربة	41
2.الاستعدادات العثمانية لحماية جربة	42
3. المواجهة العسكرية في جربة ونتائجها	44
1.3. معركة جربة البحرية 966هـ/1560 م	44
2.3. نتائج المواجهة	47
4. وانضمام تونس للدولة العثمانية	49
1.4. معركة ليبانت 1571م	49
2.4. معركة حلق الوادي وفتح تونس	50
خلاصة الفصل	52
الخاتمة	54
الملاحق	58
قائمة المصادر والمراجع	74
الفهارس	79